

UNIVERSAL
LIBRARY

OU 190698

UNIVERSAL
LIBRARY

كتاب

مسامرة الضيف

بمفاخرة الشتاء والضيف

للراجي لطف الخبير ابي بكر بن محمد عارف

خوفير المكي الكتي عفى الله عنه

تتمت في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٠

سلوة الحريف بمناظرة الربيع وتخريف

لفريد الزمان الشيخ الأجل قوام الادب

ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

رحمه الله

طبع في بيروت سنة ١٣٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي ضرب للناس الامثال . وارشده لذكوره في كل حال في الشتاء والصيف . سبحانه من اله تفرّد بصفات الكمال . وتجلّى بنعوت الجلال والجمال . من غير تشبيه وكيف . والصلاة والسلام على الداعي اليه بالخال والقال . بالحكمة والموعظة الحسنة وحسن الجدل . والكتاب والسيف . المنقذ من النار والضلال . المرشد لمكارم الحصال . واكرام الضيف . وعلى آله السادة الابطال . المعروفين بالمعروف والنوال . العادلين عن الحف . واصحابه الذين بذلوا في سبيله النفس والمال . والتابعين لهم في احسن منوال . المميزين للزيف . ما دام طيف الخيال يحتال . في ميدان الفكر وعالم المثال . وحيداً من طيف . « اما بعد » فقد جرت عادة الفضلاء في كل زمان . ومضت سنة الابلء في كل مكان . بتحرير المقالات الادبية . وتجبير المقالات العلمية . والمساجلات اللطيفة . في القوالب الظرفية . مع الاستشهاد بالاستعار الرائقة . وايراد الامثال الفائقة . والحكم الغريبة . والنوادر العجيبة . فيجتمع من ذلك حكايات مطربة . وقصص مرقصة معجبة . وقد يجرون ذلك على لسان الجمادات والحيوانات . حتى على لسان العقلاء السادات . تمثيلاً باحوال مفروضة ومتخيلة . ومتضمنة لنصائح ومواعظ جزلة . وليس ذلك من الكذب بحال . ولا يذم ولا يعاب . فقد ضرب الله الامثال . وقال في قصة داود عليه السلام . خصمان بغى بعضنا على بعض . الى قوله وعزّني في الخطاب . بل لا يخفى ان ذلك الاسلوب . محبوب

ومرغوب . وله وقع في القلوب . بنفس عنها الكروب . وتشتاق اليه
النفوس وترغب . وتنشط لساعه وتطرب . ويحصل به التمرين للبتدي
والتدريب . على الانشاء والتأديب والتهذيب . فمن اجل ذلك اردت
ان أُجرب نفسي . واجرب ابناء جنسي . على الدخول في هاتيك المسالك
فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم * ان التشبه بالكرام فلاح
فعملت هذه المقامة اللطيفة . والمقالة الظريفة * وسميتها * مسامرة
الضيف . بمنافرة الشتا والضيف * راجياً ان يفتح الله لنا الابواب .
وان يهدينا الى الصواب . وهذا اوان الشروع في المقال . في واقعة الحال
بيننا انا ذات ليلة في أرق * وضجر شديد وقلق . مما افاقيه من حر
السنبلة . وتجرحه من حرارتها المقتله . اذ تذكرت فضل البرد . وعيشه
الهنئيء وعرفه الورد . وتمنيتُ اني كنت فيه مشمولاً بشمالة او برد
وقلت مادحاً له

نعم الشتاء وجبدا * زمن الهنا والراحة
طاب العناق به اذا * دار الحبيب براحتي
وبينا انا في تلك الحال . وصرت بين اليقظة والنوم الحال . اذ
جاءني طيف خيال . في صورة اسد معتال . وقال اني انا الحر . والقيظ
والضيف الفعال . والضيف الحر في الفعال . وانتم الى امام فعّال .
احوج منكم الى امام قووال . لا تثبتون على حال ولا تعرفون قدر الرجال
ولله درمن قال . واحسن في المقال

بتنى المرء في الصيف الشتا * فاذا جاء الشتا انكره
ليس يرضى المرء حالاً واحداً * فقل الانسان ما اكفره
تضجرون من جبرتي . وتصيحون من حرارتي . وانتم تجدون اللذة
العريقة . اذا قابلتموني بالماء والثياب الرقيقة . ورقمتم لاجلي المواضع الرفيعة

وتسحمت في الرياض البدية . ولكن ستذكرون ما اقول لكم . وتعلمون
 رفتي بكم . وعدم تكليفي لكم . اذا جاءكم البرد . ولظاكم بناره وسحقكم
 مبرده بالبرد . وجاءكم بجنوده وصعق عليكم بالصواعق والرعد . وكفكم
 ما لا طاقة لكم به من كثرة الطعام . والفرش والملابس العظام .
 واذكروا قول شاعركم الهمام

توق من الشتاء ولا تحاظر * بنفسك قائلاً اني جليد
 فرضا ان جسمك من حديد * فهل يقوى على البرد الحديد
 واذكروا اذا قام احدكم الى شربة ماء . فلا يكاد يسيغه ولا يجرحه
 من الاناء . كما تمثل قائلكم

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط في اخصر
 ألم نقل ايها الفخر . يا ابا بكر

جاء الشتاء ببرده * سحق الوجوه ببرده
 حبس الانام بكنه * اتقلب من برده
 لظاهم من ناره * ادماهم بفرنده
 ابدى الزكام بانفهم * اعشى العيون بمرده
 جلب الغموم بغيه * رعب القلوب برده

فما اتم كلامه . وقضى مرامه . الا وقد حضر طيف خيال ثاني .
 فقال اعوذ برب المثاني . من كل ظالم وساني . ومن حسود لا يقدر
 شاني . وجاهل لا يعرف مكائتي ولا مكاني . ثم انشد قائلاً
 واذا ما خلا الجبان بأرض * حاول الطعن وحده والنزلا

ثم تنفس وتمثل في الحال وحاله قد حال
 وقال السها للشمس انت خفية * وقال الدجى يا صبح انك حائل
 وطاولت الارض السماء سفاهة * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل

فيا موت زر ان الحياة مريرة * ويا نفس جدي ان دهرك هازل
ثم قال اني انا الشتا والقر والبرد . تخاسني لا تحصي ولا تعد .
اذا جاءت ايامي . انتصبت اعلامي . واضرمت نارِي . ورايت الضيوف
حولها في ليالي ونهارِي . في البيوت وانصحاري . ورايت الناس يهنون
بعضهم . في خروج عدوهم . ووصولي اليهم . فهذا يتمثل . وهذا ينشد
ويترسل . جاء الشتاء وادبر الحر . هنيء الطعام وساعت الخمر . فرحت
القلوب بوصولي . وامتلات بشرا . وشرع الكرام يخرجون مدخرا .
ويعطفون على الفقرا . حتى قال قائلهم شعرا . ويجمع كافاتي مفتخرا .
وناهلك بذلك فخرا

جاء الشتاء وعندني من حوائجه * سبع اذا القطر عن اوطارنا حبسا
كنز و كس و كانون و كاس طلا * مع الكباب (وكف) ناعم وكسا
وقال بعض الدهاقين آكل فيه ما جمعت . واستمتع بما ادخرت
واي شيء احسن من كانوني في كانون . ومن لبس الخبز والسمور .
والقعود في الطوارم مع الاحباب . وتناول الدراج والكياب . وقال
بعض الكتاب

ليت الشتاء يعود لي بنعيمه * ان الشتاء غنيمۃ الكتاب
قصر النهار وطول ليل ممتع * فيه لاذ بقينه وشراب
وكان للمتوكل بيت مال يسميه بيت مال الشمال . فكما هبت الريح
شمالا . تصدق بالف درهم . وقد اشتهر اني على قدر الجسم والمال مقسم
فالفقير يرزقه الله . ويستخر له اهل الكرم . وربما اعتاد جسمه العربي فلا
يهتم . فقد سئل عريان عما يجده في يوم قسر . فقال ما علي منه كبير
مؤنة . قيل له كيف . قال دام لي العربي فاعتاد بدني . ما اعتاده
وجوهكم . وقيل لاخر ما اصبرك على البرد . قال كيف لا يبصر

عليه . من طعامه الريح . وسراجة الشمس . وسقفه الساء . ورأى
 الاصمعي رجلاً يخطال في اذير في يوم قرّ فقال من انت يا مقرر . فقال
 ابن الوحيد . امشي الخيزلى . اي مثاقولا . ويدفئني حسي
 فلما سمع كلامه الصيف . تلهب من الحر . وقام وقعد ثم حمل
 وكر . واتار يقول . ويجول ويصول

في زخرف القول تزين لباطله * والحق قد يعتره سوء تعبير
 نقول هذا مجاج النحل تمدحه * وان ذمت نقل في الزنابير
 مدح وذم وذات الشيء واحدة * ان البيان يرعى الظلاء كالنور
 يا للعجب كم قتل هذا الرجل وسب . كم فتك في عباد الله الاصفياء
 وافقر الاغنياء . وبضدها تميز الاثياء . هذا عدو الناس . ونذير الهلاك
 والباس . كم فيه مغرم . وكثرة انفاق الدرهم . في الطعام الذي يصير
 فيه الشره . والملابس التي تدفع شره . وتعبي القوي حملاً . فكأنما يحمل
 ثقلاً . فترى الهزيل . كالسحين الثقيل . وقد قال الجاحظ الشتاء عند
 الناس . هو الكلب الكلب . والعدو الحاضر . يتأهب له . كما يتأهب
 للجيش ويستعد له . كما يستعد للحرق والفرق . ولو استقصيت معائبك
 ضاق الورق . وسل الجرائد عن يهلك بك في كل عام . في اوربا مع
 التمدن والغنا والانتظام اما بلغك ان امرأة هناك قنلت نفسها جزءاً
 من دخولك . وخوفاً من ان يكون موتها بوصولك . اما رأيتهم يتعلقون
 في حبال . على مستوقد النار . في الليل والنهار . لا يذوقون المنام .
 حتي يأتيتهم الحمام . والاغنياء يهربون . وعن بلادهم يبعدون . ولا
 تدلس بقولك . يخرج الكرام مدخرا الخ . نعم يخرجون امداداً . ورحم الله
 من قال انتقاداً

ذهب الذين يعاش في اكناهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وهذا القائل هو الشاعر ليبيد . آلى على نفسه كما هبت الصبا ان
ينجر ويطعم . وربما ذبح العناق . اذا ضاق الخناق . والزم ذلك نفسه في
الاسلام . فلما كانت ايام عثمان . رضي الله عنه جعل ديوان ليبيد
بالكوفه . يا هذا علمت الناس الكرم فأفقرتهم . وعرضتهم للذلة والمسئلة
واهنتهم . كما قال الشاعر

الجود فليسهم وغير حالهم * واليوم ان سألوا النوال تمحلوا

وقال الاخر

جاء الشتاء وما عندي له ورق * فيم عدت وما عندي له خلع
كانت فبددتها جوداً ولعت به * ولمساكين ايضاً بالندى ولع
فبئس هذا الكرم . الذي اعقب الحسرة والندم . وجعل صاحبه
في حيز العدم . كما قال ابن المعتز . الخليفة الاعظم

يارب جود جرّ فقر امرئ * فقام في الناس مقام الذليل
فاستد عرى مالك واستبقه * فاليجل خير من سؤال البجيل

وقال الاخر

اشفق على الدرهم والعين * تسلم من الغيبة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

وقال الاخر

في كل شيء سرف * يكره حتى في الكرم
ولربما الفان لا * افضل من النبي نعم

وقال الاخر

لحفظ المال خير من عطاء * وسعي في البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبق الكثير مع الفساد
وقال محمد بن الجهم : اتركوا الجود للملوك . فانه لا يليق الا بهم .

ولا يصلح الالهم . ومن عارضهم في ذلك افتقر وافتضح . فلا يلومن
 الا نفسه . وكان الكندي يقول قول لا يدفع البلا . وقول نعم يزيل
 النعم . ثم اني اراك تلج بذكر الكرم والكرام . كأنك خسيس طبع .
 تنظر لما في ايدي الانام . واني بحمد الله قد افدتهم كنز القناعة .
 والزمتهم العفة خير بضاعة . ولم اكشف عن احد قناعه . ولسان حالي
 يقول على رؤس الجماعه

اذا اعطشتك اكف اللثام * كفتك القناعة شبعاً ورياً
 فان ارافة ماء الحيا * ة دون ارافة ماء المحيا
 فكن رجلاً رجله في الثرى * وهامة همته في الثرى
 وكذا يقول

امطري لؤلؤء جبال سرندي * ب وفيضي آبار تكور تبرا
 انا ان عشت لست اعدم قوتاً * ولئن مت لست اعدم قبرا
 همتي همة الملوك ونفسي * نفس حر ترى المذلة كغبرا
 وكذا يقول

وما شيء باثقل وهو حق * على الاعناق من منن الرجال
 فلا تفرح بشيء تشتريه * بوجهك انه بالوجه غالي
 وكذا يقول

اقنع من الدنيا بميسورها * واشرب قراح الماء بالكف
 وكف نفساً طال اهاسها * فانما الراحة بالكف
 وفصل الخطاب في هذا واولى . قول صاحب اليد الطولى . صلى الله عليه
 وسلم : اليد العليا خير من اليد السفلى . تفخر يا هذا بشعر من افتخر بجمع
 الكافات وقد افتخر في زماني بعض الادباء بجمع الرآت حيث قال آتياً
 بالسحر الحلان

عندي فديتك رأت ثمانية * التي بها الحر ان وافى وان وردا
 راح وروح وريحان وريق رشا * ورفرف ورياض ناعم وردا
 وازيدك قول بعض السادات . منوناً بالنونات

للصيف سبع من النونات رائقة * يا حسنها من ذوات اوقيت دنسا
 نور ونور ونوم فوق نمرقة * ناعورة ونسيم طيب ونسا
 والله درمن قال

يقولون كافات الشتاء كثيرة * وما هي الا واحد غير مفتري
 اذا كان كاف الكيس فالكل حاصل * لديك وكل الصيد في باطن الفرا
 وما احسن قول الاخر

وكافات الشتاء تعد سبعا * وما لي طاقة بقاء سبع
 اذا ظفرت بكاف الكيس كفي * ظفرت بمفرد يأتي بجمع
 واين انت يا من يتفاخر من قول الاخر

جاء الشتاء وما الكافات حاضرة * وانما حضرت منهن ابدال
 قل وقر وقلب موجع وقل * وقادر هاجر والقييل والقال
 وقول الاخر

جاء الشتاء ببرد لامرد له * ولم يطق حجر قاس يقاسيه
 لا الكاف عندي ولا الكانون متقد * كني ظلامي وكيسي قل ما فيه
 دع الكباب وخذ (الكف) واسفا * على كسا اتغطي في دياجيه

وقول الاخر

هجم البرد والشتاء وما أم * لك الا رواية العربية
 وفيصاً لو هبت الريح لم تب * ق على عاتق منه بقيه

وقول الاخر

جاء الشتاء وليس عندي درهم * وبمثل هذا قد يصاب المسلم

لبس العلوج خزوزها وفرائها * وكأني بفناء مكة محرم

وقول الآخر

ليس عندي من آلة البرد الا * حسن صبري ورعدتي وفتوعي
فكأني لشدة البرد هز * يرقب الشمس عند وقت الطلوع
قيل لاعرابي ما اعددت للبرد . قال طول الرعدة . ونقرص القعدة
وذرب المعدة . ونظمه بعضهم في قوله

قيل ما اعددت لا * برد وقد جاء بشدة

قلت دراة عري * تحتها جبة رعدة

وقال الآخر

قال هل اعددت شيئاً * للشتا قد جا بعنف

قلت ثوباً من مدام * كلما مدت تدني

قال الاصمعي: رأيت اعرابيا قد حفر قرموصا اي حفرة فعد
فيه في اول الشتاء . فقلت ماصيرك الى هذا . قال شدة البرد . وانشأ يقول
ايا رب هذا البرد اصبح كالحأ * وانت بصير عالم ما تعلم
لئن كنت يوماً في جهنم مدخلي * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم
فظهر بحمد الله اني انا اخل الموافق . والصديق الصادق . والطيب
الحاذق . اجتهد في مصلحة الاصحاب . وارفع عنهم كلفة حمل الثياب
واخفف اثقالهم . واوفر اموالهم . واكفيهم المؤنه . واجزل لهم المعونه .
واغنيهم عن شراء الفراء . واحقق عندهم ان كل الصيد في جوف الفرا
كما قاله الحبيب بن حبيب

وملبسي كل ظريف . وشفاف خفيف . مثل الشاش . وما يحصل به
الانتعاش . اما سمعت ما قيل

الشاش في الصيف جنة * ومن اذى الحر جنة

لكنني تعتريني * به لدى البرد جنه
 فلما سمع الشتا هذه المقالة . شمر وضم اذباله . وتنفس الصعداء
 وقال يا عدو السعداء . ما هذه الوقاحة . والمجازفة بالصراحة . رمتي
 بدائها وانسلت . يري القذاة في عين اخيه . ولا يري المسلة في عينه تدميه
 يا طالما قتل هذا المجازف كثيرا . ولا ترك اميراً ولا فقيراً . ولا كبيراً
 ولا صغيراً . جلب اليمه اشياء . من السرسام وعضال الداء . وكلف
 الاغنياء السفر الى المواضع الباردة . فهربوا منه وصرفوا المصاريف
 الزائده . وكلف كل شخص حمل مروحة يطرده بها . ويخفف عن
 نفسه ما نابها من الكرب وحلّ بها . سيما اذا انضم اليه حر الهوى والهوان
 وحر البعاد والمهجران . ومع ذلك يخرج الهوى من مروحته حاراً كوقته
 اما سمعت بقصة الفقير الذي عشق مملوك السلطان الاشرف . فحجبه عنه
 ثم رق له حين على الموت اشرف . فامر به بالوصول اليه . فجعل يروح عليه
 فرفع الفقير رأسه وتنفس . وانشد وكان آخر النفس

روّحي عائدية فقلت له * لا لا تزديني على الذي اجد
 اما ترى النار كلما خمدت * عند هبوب الرياح تُنقد
 وقال العلامة البدر الساري الشيخ عبد الحفيظ القاري حفظه الباري
 ايظن ملسوع الفؤاد بانه * ان هز مروحة يخف لهيبه
 او ما درى ان الهواء يزيد * لهباً اذا ما غاب عنه حبيبه
 ومثله للفاضل الاديب الشيخ عثمان الراضي
 ولقد تروّح بيتي * برداً لكبد منه حرى
 فانار بالممدود مة * صور الهوى فازداد حرا

وله ايضاً

يا من تروّح بيتي * من الهواء براده

ان الهواء يقينا * هو الهوى وزيادة

وقال اخر

ومروحة جعلت راحة * لحر العجين وتليبه

كان سليمان اهدى لها * نسيامن الريح تسري به

وقال اخر

ومروحة جاء النسيم بها يجري * يبرد اكبادا اذبت من الحر

حوتها يد كالبحر والبحر دونها * واطيب ما جاء النسيم من البحر

وقد كتب بعض الادباء الى رفيقه : اشكو الى مولاي صيفاً

لا يطيب معه عيش . ولا ينفع به ثلج ولا خيش . وانظروا ايها الناس

الادبا الى هذا الذي يرى رأي اهل اوربا . يتخذ البخل مذهبا .

ويجعله شرفاً ومنصباً . ينسى ما افترضه الله من الزكاة . طهر الله اعتقاده

وزكاه . الم يسمع ما جاء في ذم البخل . ما هو اشد من لسع النحل .

قال السعبي ما افلح بخيل قط . اما سمعتم قول الله تعالى «ومن يوق شح نفسه

فاولئك هم المفلحون» . وقال المأمون لمحمد بن عبد الله المهلبلي . بلغني انك

متلاف . فقال يا امير المؤمنين منع الجود . سوؤ ظن بالمعبود . وهو

تعالى يقول : وما تنفقوا من شيء فهو يخلفه . وهو خير الرازقين . ويقال

البخيل ابداً ذليل . ويقال لا مروءة لبخيل . ويقال شر اخلاق الرجال

البخل والجبن . وهما من اخلاق النساء . وقال الجاحظ البخل والجبن

غريزة واحدة يجمعهما سوء الظن بالله . وقال غيره . البخل يهدم مباني

الكرم . وقال الشاعر

لا يسود امرؤ ببخيل ولو مسَّ يافوخه عنان السماء

وقال اخر

ذري فان البخل يا ام هيثم * لصالح اخلاق الرجال سروق

وما انت ايها الصيف الا كما قيل : يمنع دره . ودر غيره . ويحسد
 ان يعطي . ويزهد ان يعطي . قال الشاعر
 وغيظ الحسود على من يوجد * لا عجب عندي من بخله
 واني اوصي احبائي ارباب الهمم بلزوم الكرم . واذا قعد الزمان بواحد
 منهم . فليطلب حاجته من الامراء ومن علا مجدا وقدرا

وقال الشاعر

اذا ما طلبت نوال الفتى * وقد نالك الدهر من شده
 فلا تسألن فتى كالحأ * اصاب الرياسة من كده

وقال الاخر

دعوني ورسمي في العفاف فاني * جعلت عفافي في حياتي ديدني
 واعظم من قطع اليدين على الفتى * صنيعه برّ نالها من يدي دني
 فلما سمع ذلك القيظ . كاد ان يتميز من الغيظ . وقال يا هذا
 ما اجهلك . وما اعقل عقلك . تجاوزت طورك . وما عرفت قدرك .
 ما مرض من مرض . الا بقضاء وقدر . وترك المحافظة على اسباب الصحة
 والنظر فيما يصلحني ويناسبني . وما يليق بزمني . رحم الله من قال
 صبراً على حلو الزمان ومرّه * واعلم بان الله بالغ امره
 والحرم من يلتقى الخطوب بصدرة * وبصبره وبمحمده وبشكره
 والحرم سيف والذنوب لصفوه * صدىء وصيقله نواب دهره
 ليس النواب غير افعال امرء * يجزى به من خيره او شره
 واذا اصببت بما اصببت فلا ثقل * اوذيت من زيد الزمان وعمره
 ولرب امرٍ قد امضك عسره * ليلا فبشرك الصباح يبسه
 ولرب ليل في المهموم كدمل * صابرته حتى ظفرت بفجره
 وما سافر الناس الى الاراضي الباردة فراراً مني . فاني احل بها
 وهي لا تستغني عني . بل يسافرون لجلب المكاسب . ورؤية العجائب .

وتحصيل التجارب . ونزهة انفسهم . ورياضة افكارهم . في تلك الرياض
وهاتيك الحياض . وتناول الفواكه الشبيهه . والثار الجنيه . التي طالما
اشتاقت اليها نفوسهم الايبه . فلم يظفروا في زمانك بتاك الامنيه .
وقد قيل :

تنقل فلذات الهوى في التنقل * ورد كل صاف لانتقف عند منهل
ولا اسفأ فيما يصرف في ذلك . فليس لك من مالك الا ما اكلت
فانيت . اولبت فابليت . او تصدقت فابقيت . وبذلك يظهر فضل
الغني . وجمال عيشه الهني . وهكذا حالي . بمعنى وهو حالي . لا بد
لفضلاء الناس . والسادة الاكياس . ان يمشوا في تلك الرحاب الفسيحه
والرياض النضرة المليحة . مع هاتيك الوجوه الصبيهه . والاصوات الحسنه
المريحه . والتي للهموم مزيحه . فيزهو زمانهم . ويعاوشانهم . وتصفو
اذهانهم . وترتاح نفوسهم . ولا تضيق صدورهم . بالركون الى الكن
الذي هو عن زينة الدنيا مستكن . المطلوب في زمانك . الذي تغلق فيه
الابواب . وتسد فيه الثقاب . حتى كان صاحبه ليل مظلم . وصاحبه في
حبس مؤلم . وهذا شاعر زمانى يترنم

لم لا اهمى الى الرياض وطيبها * واظل منها تحت ظل ضافي
والزهر يلحطني بشعر باسم * والماء يلقاني بقلب صافي
اما ما ذكرت من امر المراحل . التي فضلها غاد ورايح . فهي من محاسني
ومن فضل زمني . حسناً لعبت بها الشمول . وغدا لسان حالها يقول

انا في الكف لطيفه * مسكني قصر الخليفه
انا لا اصالح الا * لظريف او ظريفه
او وصيف حسن ال * قد شبهه بالوصيفه

وكذا يقول وقد حنفها القبول

انني اجلب الريا * ح وبني يذهب النخل .
 وحجاب اذا الحية * ب ثنى الرأس للقبل
 وكذا يقول وقد جرت الذبول
 انا المحبوبة العظمى * اذا ما الصيف قد اقبل
 واما في الثنا الجاني * فلا اهدى ولا اقبل

اما سمعت ما حكاه ابو الفوارس قال كنت يوماً عند السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فحضر رسول صاحب المدينة . ومعه قود وهدايا فلما جلس اخرج من كمه مروحة بيضاء عليها سطران بالسعف الاحمر وقال الشريف يستخدم مولانا السلطان ويقول هذه المروحة ما رأى مولانا السلطان ولا اخذ من بني ايوب مثلها فاستشاط السلطان صلاح الدين غضبا فقال الرسول يا مولانا السلطان لا تعجل قبل تأملها وكان السلطان ملكا حكيما فتأملها فاذا عليها مكتوب

انا من نخلة تجاور قبراً * فاق من فيه سائر الناس طرا
 شملتني عناية القبر حتى * صرت في راحة ابن ايوب أقرا
 واذا هي من خوص النخل الذي في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
 فقبلها السلطان ووضعها على رأسه وقال لرسول صاحب المدينة صدقت فيما
 قلت من تعظيم هذه المروحة . وما احسن قول بعضهم

ومحبة في القبط لم تخل من يد * وفي القر تسلوها اكف الحباب
 اذا ما الهوى المقصور هيج عاشقاً * انت بالهوا الممدود من كل جانب
 وقال الآخر

يا سائلي عن نسيم طي مروحة * اهدت سروراً بترجيع وترويح
 اما ترى الخوص اهدى من مروحه * ما اودعته قديماً نسمة الريح
 والطف منه قول الآخر

نهيت الحبيب عن المروحة * لمعنى وحسبك ان اشرحه
 لقد خفت ان مرّ فيها النسيم * ولا مس خديه ان يجرحه
 وقال الآخر واجاد

ومروحة اهدت الى النفس روحها * لدى القipzig مبعوثاً باهداء ريجها
 رويانا عن الريح الشمال حديثها * على ضعفه مستخرجاً من صحيحها
 وقال الآخر

ومبعوثه في كل شرق ومغرب * لها امهات بالعراق قواطن
 يحرك انفاس الرياح حراكها * كأن نسيم الريح فيهن كامن
 والله در القائل في المستديره

ومروحة ان تاملتها * ترى فلها دائراً في اليد
 وتطوى وتنتشر من حسنها * فتسبه فنزعة المهدهد
 واما مروحة الخيش فقد قال فيها ابو نواس لعنان جارية الناطفي
 اجيزي : العيش في الصيف خيش . فقالت : اذ لا قتال وجيش . وقد
 ذكرها الحريري في مقاماته حيث قال اسمعوا وقيم الطيش . ومليتم العيش
 واشد ملغزاً في مروحة الخيش

وجارية في سيرها مشمعة * ولكن على اثر المسير قفوها
 لها سائق من جنسها يستحثها * على انه في الاحتثاث رسيلها
 ترى في اوان القipzig ينطف ماؤها * ويبدو اذا ولي المصيف قحولها
 وهذه المروحة شبيهة بشراع السفينة تعلق بالسقف ليتروّح بها وتبلّ
 بالماء وترش بماء الورد ويشد فيها حبل يدار به مشيها فاذا اراد الرجل
 النوم جبنها بمجلها فتذهب بطول البيت وتجي فيهب منها على صاحبها
 نسيم طيب الرائحة فيذهب عنه الاذى ويستطيب النوم وهي فوقه ذاهبة
 جائيه . ولذلك سماها الحريري جاريه

وفيهما قال بعضهم

وخيش كما انجرت ذبول غلائل * مصندة يختال فيها الكواعب
وقداطلعت فيها الشائل وانثنت * مقيدة عن جانبها الجوانب
ومن ملح الصاحب بن عباد قوله لابي العباس الحارث في يوم قيظ
مايقول الشيخ في قلبه وهو الخيش جناسا مقلوبا وقال الشهاب ابن ابي حمزة
المروحة محدثة في زمن بني العباس وكان سبب حدوثها ان هارون الرشيد
دخل يوماً على اخته عليّة بنت المهدي في قيظ شديد فوجدها قد صبغت
ثوباً من زعفران وصندل ونشرته على جبل ليخف فجلس هارون قريباً من
ذلك فجعلت الريح تمر على الثوب فتحمل منه ريحاً بليلة عطرة فوجد لذلك
راحة من الحر واستطابه فامر ان يصنع له في مجلسه مثله والمروحة منه جاءت
واما مانسبته اليّ من الجبل فهو اقراء . وكذب وبهتان بلا مرء . انما
عنيت بكلامي الذي سلف . ذم السرف الذي يعقبه التلف . كما جاء عن
السلف . وقد قال تعالى في كتابه المبين . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
وانت قد اوصلتهم الى حد السؤال . واليه ارشدتهم ا لم تسمع من قال
ما اعتاض باذل وجهه بسواله * عوضاً وان نال الغنى بسؤال
واذا السوال مع النوال قرنته * رجع السوال وخف كل نوال

وقال الاخر

لنقل الصخر من قلل الجبال * احب اليّ من منن الرجال
يقول الناس كسبك فيه عار * فقلت العار في ذل السوال
ويروى ان لقمان قال لابنه يا بني حملت الصخر والحديد . فلم ار
اثقل من الدين . واكلت الطيبات . وعانقت الحسان فلم اصب الذ من
العافية . وذقت المرات . فلم اجد امرّ من الحاجة الى الناس .

وقال الاخر

وذقت حرارة الاشياء جمعا * فما طعم امرّ من السوال

وقد قيل جلّ في عينيك من استغنى عنك . وقيل من لم يستوحش من
 ذل السؤال . لم يأنف من ذل الرد . وكان مطرف يقول اذا كانت
 لاحدكم حاجة فلا يواجهني بها فاني اكره ان ارى فيكم ذل المسألة .
 ولكن ليرفعها في رقعة . فانّ الشاعر قد صدق في قوله .

يا ايها المعتاد بذل الجمال * وطلب الحاجات من ذي النوال
 لا تحسبن الموت موت البلا * وانما الموت سؤال الرجال
 كلاهما موت وليكن ذا * اشد من ذاك لذل السؤال
 وقال اخر

لا تغضبن على امرئ * لك مانع ما في يديه
 واغضب على الطمع الذي * استدعاك تطلب ماله

وقال اخر

لا تكن طالباً لما في يد النا * س فيزور عن لقاءك الصديق
 انما الذل في سوالك لنا * س ولو في سوال اين الطريق

وقال اخر

من عف خف على الصديق لقاءه * واخو الحوائج وجهه مملول
 واخوك من وفرت ما في كيسه * فاذا اعترضت له فانت ثقيل
 فلما سمع الشتاء . قال ما زلت تلمزني يا فتى . بسىء الخطاب . وتموه الجواب
 وترثني الصعاب . وانت بعيد عن الصواب . ولولا اني موجود . لم تفرح
 بموجود ولا بعود . ولم تفخر بخضرة الرياض . وتدفق مائها الفياض . الم
 تسمع ما قيل ايها الثقيل .

خضرة الصيف من بياض الشتاء * وابتسام الثرى بكاء السماء
 فما انت الا لثيم . خب ذميم . لا تعرف المعروف . بل ولا انت معروف
 ارى الاحسان عند الحرديننا * وعند النذل منقصة وذما

كأه القطر في الاصداف در * وفي جوف الافاعي صار سما
ولو نظرت الى نفسك . وعرفت ما قيل في وصفك ما هت بينت شفه
ولا نطقت بذاك السفه . ولا خرجت الى ميدان المفاخرة . ولا تعرضت
للمناظرة فانظر الى قبيح عمالك . وسوء فعلك . اذا جاء النهار . ففتح فيه
ابواب النار . واشتد الكرب والقلق ونضحت الابدان بالعرق . فغير لون
الثياب وعلاها . فان كانت جديدة حلها وابلاها . او قديمة زاد في
تمزيقها وبلاها . وتخرج منها رائحة بعظم بلاها كما قال فيه ابو بكر هذا (١)
عرق نقاطر في ثياب * كالبول رائحةً ولونا
فيذبها ويميت نفسا * يؤذي الوري ويزيدهونا
وتعظم حرارة الشمس . وربما ادخلت الرمس كما قال بعضهم الشمس
تشعب اللون . وتغير العرق . وترخي البدن . وتثير المرة ان احتجمت
فيها امرضتك . وان اطلت النوم فيها افلجنتك . وان قربت منها صرت
زنجيا . وان بعدت عنها صرت صقليا . وكما قال الشاعر

يقال تركت الذي حسنه * يكاد يخجل شمس الضحى
فقلت وشمس الضحى تحمى * اذا بسطت في المصيف الاذى

ولله در القائل

في خلقة الشمس واخلاقها * شتى عيوب ستة تذكر
من صبحها النور لأمسائها * مغاير الاشياء لا يفتر
رمداً عمشاء اذا اصحبت * عمياء عند الليل لا تبصر
ويقتدي البدر لها كاسفاً * وجرمه من جرمها اصغر
حرورها في القيظ لا تنقي * ونورها في القمر مستحقر

«١» قوله ابو بكر هذا اي الحاضر مجلس المفاخرة والراوي للمناظرة وهو
المنشي وهو المراد في كل ماسياً تي انتهى

ليست بحسنة وما حسن من * يقصر عنه اللفظ اذ يخبر
 وصار الماء حاراً كانه من حميم . وشاربه من سكان الجحيم .
 ينسبه ما يجده من التهايه . ان يحمد الله على شرابه . وخرج السموم يتلهب
 ويزار . ويطرق الابواب . ويشوي الوجوه . وينسف التراب . فتشتمد
 به الحرارة والغموم . وتضاعف به على العاشق الهموم . كما قال ابو بكر هذا
 بعاذك والهوى ولهيب عدل * سموم في سموم في سموم
 صدودك والوشاة ومر عيشي * سموم في سموم في سموم

وقال الاخر

رب يوم هواؤه يتلظى * فيحاكي فؤاد صب متمم
 قلت اذ خدره حرّ وجهي * ربنا اصرف عنا عذاب جهنم
 فقام الصيف وقد تصد عرفاً . وصوت سمومه فرقا . وقال ايها الشتاء
 الخابط خبط عشواء . الراكب متن عمياء . والشائب وهو في العيب والعماء
 اتفاخري وانت في الخفيض وتناظري وانت الثقيل البغيض . تجعل
 المحاسن مساويا . وتمشي على المكر طاويا . تمتن على . وتزعم انك اسديت
 اليّ ان كان الامر كذلك . فما انت الا كما قيل هنالك .

لا تمدحن ابن عباد وان هطلت * كفاه بالجود حتى اخجل الديما
 فانها خطرات من وساوسه * يعطي ويمنع لا يجلا ولا كرما
 ولو سلم فقد اصنعتته بالامتنان . والاساءة والبهتان . الم تسمع ايها
 المنان . ما قيل في ذلك الزمان

اذا زرعت جميلا فاسقه غدقا * ماء المكارم كي ينمو لك الثمر
 ولا تشنه بمنّ فالذي ذكروا * من عادة المنّ ان يؤذى به الشجر

وقول الاخر

اذا الجود لم يرزق خلاصاً من الاذى * فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا

وفي النفس اخلاق تدل على الفتى * اكان سخاء ما اتى ام تساخيا
اما حرارتي فهي من حرارة الشمس . لانها تكون اذاً في البروج
الشمالية وتغرب من الرأس كما قال الشاعر . حاوي المفخر

ان العلى حدثتني وهي صادقة * فيما تحدث ان العز في النقل

لوان في شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوماًدارة الحمل

افتعيبها بذلك وهي تدبير الحكيم المالك . ما انت الا هالك

وفي تعب من يحسد الشمس نورها * ويجهد ان يأتي لها بضرب

اما تعرف بها الاوقات . ويشند النبات . ويستدل على طريق الصواب

ويعلم عدد السنين والحساب . قد جعلها الله رحمة للعباد . ومصلحة تدرأ

الفساد . قال ارسطو الحكيم . في الزمن القديم . لو توارت الشمس عن

الارض لمت حياها . واتن طينها . وجد ماؤها . لانها في الارض

كالكبد وكالدم في الجسد . وقد تغزلت فيها الشعراء . بما هو ازهي من

الزهرة الزهراء . فمن ذلك قول بعضهم

وسائرة لا ينقضي الدهر سيرها * وليست على حبي من الناس تنزل

لها صاحب لم تلقه الدهر مرة * على اثرها يمشي يسير ويعمل

وما هي الا كما قيل . الشمس بين الكواكب . كالملك بين الموابك

والباقي كالاغوان والجنود . وحمال الرايات والبنود . فهي جمال ايامي .

ومدة مقامي . حتي يأتي زمانك المشوم . فتبعد في جهة الجنوب المعلوم .

وتختفي بالغيوم . التي تأتي بالغموم كما قال الشاعر

جاء الشتاء واجتال غيم اغبر * وتطاعت شمس عليها مغفر

وقال ابن المعتز

تظل الشمس ترمقنا بطرف * خفي لحظه من خلف ستر

تحاول فتق غيم وهو يابى * كمنين يحاول فتق بكر

ولذلك قالوا في المثل : شمس الشتاء للشيخ الذي طعن في السن وبلغ ساحل الحياة كما أتى ما هو الا شمس العصر على القصر واما خروج العرق من الجسد . فذاك من لطف الله الأحد . ومن تمام الصحة واذا قوبل بالمروحة . كان لذة وراحة . وعرفه تابع لتوبه فان كان مطيباً فانه يتحدر ويترشح كالسك الازفر قال الشاعر : «الطيبون ثياباً كما عرفوا» . قال انس ابن مالك رضي الله عنه : دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق وجاءت امي بقارورة فجعلت تسلك العرق فيها فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال يا ام سليم ما هذا الذي تفعلين قالت عركك نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وما احقه بقول القائل

تنشق مسك اصداغي حلالا * فهذا الطيب من عرق الجبين
وتراه يتقاطر كاللؤلؤ اذا انتثر . او الطل على اوراق الشجر . او
دمع الحب عند الفراق والسهر . كما قال ابو بكر هذا

عرق الحبيب اذا تحدر * كالطل في ورق نقطر
او لؤلؤ يزهر وينثر * او دمع مهجور نقطر
وما الطف قول بعضهم

قبت وجنته فالفت جيده * نجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكانني استقطرت ورد خدوده * بتساعد الزفرات من انفاسي

وقال الاخر

سقى الله روضاً قد تبدى لناظري * به سادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذبي فيه ينضح

وقال الاخر منضمناً

وظل علي ورد حكي خد غادة * به عرق من خجلة ينصب

واوراق كرم قد حكت كف سائل * لمن بات في نعمائه يتقلب
وقال آخر

بدا عرق في خده فسأله * بماذا تندی قال لي وهو يمزح
الا ان ماء الورد خدي اناؤه * وكل اناء بالذبي فيه ينضح

وما اظرف قول الآخر

في خده عرق بدا * ذا حمرة لصفائه

هذا يصدق قولم * الماء لون اناؤه

ولله در القائل

وكل الطل اوراق الغصون ضحى * كما تكمل خد الحود بالعرق
واطلق الطير فيها سنجو منطقه * ما بين مختلف منها ومتفق

واما الماء فانه لوجود الباعث هني . ولا يطيب ولا يلد الا في زماني
يبرد بالليل والسموم . فيسفي الغليل والهموم . واما في زمانك فلا يساغ
وليس له باعث ولا مساغ . يجمد ويحجر . وربما قتل واشجر . وقد ساع
واشتهر . والعذب بهجر للافراط في الخصر . قال معاوية رضي الله عنه
ما شيء الذّ عندي من شربة باردة في يوم صائف ونظري الى بني وبني
بني يدرجون حولي . واما ما ذكرت من السموم . فدواؤه معلوم . وبه
يصير عين النعيم . واطيب من النسيم . اذا انزوى صاحبي الى جانب
بيته اوروضه . وسكب الماء حوله على ارضه . طاب هواؤه . وبرد ماؤه
اما فضله وتيجته وفائدته وثمرته فأمر عظيم . ونعيم مقيم . النخل الباسقات
الحسان . التي وصفها خالد بن صفوان . بقوله : هي الراسخات في الوحل .
المطعمات في المحل . الملقحات بالفحل . المونعات كشهد النحل . تخرج
اسقاطا . غلاظاً واوساطا . ثم تنشق عن قضبان لجين وعسجد . كالدر
المنضد . ثم تصير ذهباً احمر بعد ان كانت في لون الزبرجد

كان النخل الباسقات وقد بدت * لناظرها حسناً قباب زبرجد
وقد علقت في فرعها زينة لها * قناديل ياقوت بامراس عسجد

وقال الاخر

روض كمخضر العذار وجدول * نقشت عليه يد الشمال مباردا
والنخل كالميف الحسان تزينت * فلبسن من اثمارهن قلائدا
اما سمعت ما حكى من ان ملك الروم كتب الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ايام خلافته بلغني ان بيلدك شجرة تخرج ثمراً كآذان الحمر
ثم تنتشق عن احسن من اللؤلؤ المنضد . تم تخضر كالزبرجد الاخضر ثم
تحمّر وتصفرفتكون كشذور الذهب وقطع الياقوت ثم تينع كاطيب الفالودج
ثم تيبس فتكون قوتا فان كان كذلك فلا شك انها من شجر الجنة .
فكتب اليه صدقت رسلك وانها الشجرة التي ولد تحتها المسيح عليه السلام
ولله در من قال في وصف جماره

جسم لطيف المس لكّنه * قدلف في ثوب من الصوف

وقال الآخر واجاد

اهدى لنا جمارة * من لست اخلو من عدا به
فكانما هي جسمه * لما تجرد من ثيابه

وقال الاخر في وصف طلعه

كصدرفتاة ناهد شق قلبها * سماع فشققت عنه ثوباً ممسكا

وقال ابن المعتز

افدي الذي اهدى لنا طاعة * اهدت الى قلبي المشوق بلا بلا
فكانما هي زورق من فضة * قد اودعوه من اللجين سلاسل

وقال الاخر في بلجة

اما ترى النخل اطلمت بلحا * جاء بشيراً بدولة الرطب

مكاحل من زمرد خرطت * مقمعات الروس بالذهب

وقال الاخر في بسرة

انظر الى البسر الذي تبدى * ولونه قد حكى الشقيقا

كانما خوصه عليه * زبرجد مثر عقيقا

وقال الاخر فيه

اما ترى النخل حاملات * بسرا حكي حمرة الشقيق

كانه من عقود تبر * منظم السبك بالعقيق

وقال الآخر فيه

اما ترى البسر الذي * قد جاءنا بالعجب

كيف غدا ولونه * كعاشق ملتب

وقال الآخر في رطبة

اما ترى الرطب المجنى لا كله * حلوى أعدت لنا من صنعة الباري

ما باشرتها يد العقاد في عمل * في الدست يوماً ولا حطت على النار

وقال الآخر في وصف رطبة وتمر

اهلبلج من لجين * مسمر بالنضار

يشف مثل كؤوس * مملوءة من عقار

وقال آخر

اهدى لنا رطباً خلّ اخو ثقة * يا حبذا هو من رزق لنا رزقا

يدوب من قبل مضغ الاكلين له * انسى به اذا اتانا اللوزج العبقا

كانه الند لوناً والعبيق دكا * والشهد طعماً بماء الورد قد فتقا

فظهر بحمد الله العلام . اني محض خير وانعام . بي نضجت الثمار

وصلح الرطب واستحکم الحب وادرك الحصاد . واخصبت الارض وكثر

الريف وازداد . ودرت اخلاف النعم . وسمت البهائم . واشتدت قوى

الابدان . وبطر الانسان . وصارت الدنيا كأنها عروس منعمة رعناء .
ذات جمال وبهاء . واما انت ايها الشتاء اذا جئت جاءت غمة غماء . ترعب
القلوب وترعد الاعضاء . بصوت كزئير الاسد . وتأتي برياح مزعجة تنسف
التراب في وجه كل احد

وريح يضل الروح عن مستقره * وتستلب الركبان فوق الركائب

وقال ابن المعتز

بلينا وقد طاب الشراب واوقدت * حمياه في الفتیان نار تساط
بابرد من كانون في يوم شمال * واكثر قسواً من رياح سباط
واني قد خصصت بنسيم الصبا . نسيم الروح والصبابة والصبابا . مذكر
ايام الشباب . وحامل رسائل الاحباب . ينفس عن المكروب . ويداوي
القلوب . وهو لطيف صافي . وظريف شافي . يذكي الازهان . وينفع
الابدان . ويبسط الاخلاق وينشط الكسلان ولا سيما ان مر بمروج
الازهار . فانه يحمل قواها الى الدماغ والجنان كما اشار الى ذلك الشاعر
وصباً ات من قاسيون فسكت * مهبوبها وصب الفؤاد البالي
خاضت مياه النيرين عشية * وانتك وهي بليلة الازيال

وقال الآخر

لا تبعثوا غير الصبا بقية * ما طاب في سمعي حديث سواها
حفظت احاديث الهوى وتضوعت * نشرأ فيالله ما اذكها

وقال الآخر

يداوي اسي العشاق من طيب ارضكم * نسيم صبا اضحى عليه قبول
بروحي من ذاك النسيم اذا سرى * طيب يداوي الناس وهو اليل

وقال الآخر

سرت من بعيد الدار لي نسمة الصبا * وقد اصبح حسرى من السير ضالعه

ومن عرق مبالوة الجيب بالندى * ومن تعب انفاسها متابعه

وقال الآخر

ايا جبلي نعان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الي سبيها
اجد بردها او تشف مني حرارة * على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح اذا ما تنسمت * على نفس مهجوم تجلت همومها
والشمال وان كانت تهب في زمانك بقوة . فهي في اكثر اوقاتي تأتي
بلطف وحنوه . كما قال الشاعر

وكما هبت شمالية * اسأها عنك واستخبر

اعرف منها طيب انفاسها * اتساره عندي هي العنبر

وكان الصاحب بن عباد يترنم بقول ابي نواس

هبت لنا ريح شمالية * منّت الى القلب باسباب

ادّت رسالات الهوى بيننا * عرفتها من بين اصحابي

وقال الاخر

وهبت لاصحابي شمال لطيفة * قريبة عهد بالحبيب بليل

ترانا اذا انفاسنا مزجت بها * ترنح في اكوازنا وقميل

وما الطف قول الاخر

جاد النسيم على الربا * بندى يديه وقال لي

انا ما اصر عن ندى * وكما علمت شمالي

وما ارق قول الاخر

الا يا نسيم الريح مالك كلما * تدانيت منازاد نشرك طيبا

اظن سلمي خبرت بسقامنا * فاعطتكم رباها فجت طيبا

يا هذا تضر العيون والاسماع . وتحدث الزكام والصداع . ويأتي

معك مطر مداوم . كأنه خصم ملازم . برعود تزعج القلوب . وغيوم

تزيد في الكروب . وسحاب مركوم . يضاعف الغموم . وبروق تجهر
العيون . ويخفق منها قلب المحزون . فيعوق المواعيد بين المحبين . ويؤذي
المسافرين . ويخرب العمران . ويهدم البنيان . فكم من قتيل تحت هدمه
وساھر تحت وكفه . وغريق في لجته . وصریح في هوته . قال اعرابي
اصابنا مسافر . يؤذي المسافر . ولا يرضي الحاضر . وقال الشاعر
صيرت منزلي خرابا ومن عا * داتها ان تخرب المعمورا
وقال ابن المعتز

رؤينا فما نزداد يارب من حيا * وانت على ما في النفوس شهيد
سقف لبيتي صرن ارضا ادوسها * وحيطان داري ركع وسجود
ويقال المطر مفسد الميعاد ويقال عاقت الامطار . عن الاوطار .
وحالت الاوحال . عن الوصال . قال الشاعر

لا ترح سينا خالصا نفعه * فالغيث لا يخلو من العيث
وقال اخر

ابرد من برد الكوانين * زيارة الراجل في الطين
لا يصلح التسليم يوم الندى * الا لاصحاب البراذين
وينزل معه البرد والتلج . ويكون على الناس اشد من الثلج . يخرج من
الزمهرير . ويجعل الماء كالقوارير . وهذه ارض مصر يضرها ويؤذي
زروعها واذا جاء اليها ارتاعت قلوب اهلها وقد خصها الله بالنيل
الذي يكون وفاؤه في زماني . فيأتي بالسرور والرخاء والاماني . اما
سمعت ما قيل

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر ازاهره
وللوفاء عمود من اصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشائره
وقول الاخر

لعمرک ما مصر بمصر وانما * هي الجنة العليا لمن يتفكر

وابنأؤها الولدان والخور عينها * وروضتها الفردوس والنيل كوثر
وما الطف قول الشاعر

فلوان السحاب همى بعقل * لما اروي مع النخل القتادا
ولو اعطى على قدر المعالي * سقى الهضبات واجتنب الوهادا
وتوقد فيك النيران . فيطير شررها في المكان . ويجرق التياب
ويجعلها سودا . كنى بذلك سوّماً معدودا . كان الناس حولها . محجوس
يعبدونها . يعرضون عليها في جميع اوقاتهم . وهي لباسهم وهي فاكتهم
قال الشاعر

النار فأكهة الشتاء فمن يرد * اكل الفواكه شاتيا فليصطل
وقال الاخر

رأيت بلاد الروم لاعيش عندهم * بطيب ولا صفو يعادل اكدراى
وكيف يطيب العيش لي بين فتية * نهارة وليلا يعرضون على النار

وقال الاخر

وصوبة في مجلس * كانها جهنم . وحولها زعانف * كلهم معمم
والمغتسل في زمانك . يشرف على الحمام . فيكثر في ايامك دخول
الحمام . الذي قال فيه الامام عليّ كرم الله وجهه بنس البيت الحمام
تكشف فيه العورات . وترتفع فيه الاصوات . ولا يقرأ فيه آية من
كتاب الله تعالى . وقد ذمه الرقاشي بقوله بهتك الاستار . ويولف
الاقذار . ويذهب بالوفار . وفي الخبر . ان الحمام من بيوت الشياطين .
قال الشاعر يحث على سرعة الخروج منه . والبعد عنه

خذ من الحمام واخرج * قبل ان يأخذ منك . حدّا ناعنه والا * حدث الحمام عنكا

وقال اخر

وحمام رأيت بها غزالا * كبدر التم في غصن قويم

فقلت تعجبوا من صنع ربي * رايت الحور في وسط الجحيم

وقال اخر

وحمام دخلناها لامر * حكت سقرا وفيها الجرמוنا
ينادي داخلوها اخرجونا * فان عدنا فانا ظالمونا

وقال اخر

ان حمامنا الذي نحن فيه * قد اناخ العذاب فيه وخيم
مظلم الارض والسما والنوا * حي كل عيب من عيبه يتعلم
وله مالك غدا خازن النسا * ر بل مالك ارق وارحم
كما قلت قد اطلت عذابي * قال لي اخسا فيها ولا نتكلم
قلت لما رايت به يتلظى * ربنا اصر ف عنا عذاب جهنم

وقال اخر

جئت اريد الحمام يوما * ففزني النعش والحصير
حتى اذا جئت نلت ريجاً * كأنما تنبش القبور
والناس عند الصدور فيها * قد يبست منهم الصدور
تعرف هذا من حسن هذا * وقد علا منهم الهدير
انقل خوف الوقوع رجلي * فيها كما ينقل الضير
جهنم لا يصاب فيها * وهج بل الكل زهير
قد عرفت فالحديث عنها * بنحس اوصافها يسير
وكما جاءها زبون * قلنا ألم باتكم نذير

وقال اخر

حمامنا من ضيقها تشتكي * كأنها صدر وقد اخرجوه
فهي لظى نزاعة للشوس * وماؤها كالمهل يشوي الوجوه
فلما سمع ذلك الشتاء . قال يافتي ما احراك في التمثال . بقول من قال

لي صاحب افديه من صاحب * حلوا التهاني حسن الاحتيال
 لوتساء من رقة الفاظه * الفما بين الهدى والضلال
 يكفيك منه انه ربما * قادالى المهجور طيف الخيال
 ماهذه السفسة والمشاعبة والمغالطة اما ما ذكرت من تجمد
 الماء وتحجره من بردي فذلك من الخطأ الذي ييزري بقائله ويردي
 فقد قال الجاحظ . الماء ليس يجمد للبرد فقط . فقد تكون الليلة باردة
 جداً ولا يجمد الماء . ويجمد في الليلة التي هي اقل بردا منها . وقد يختلف
 جمود الماء في الليلة الساكئة وذات الريح . قال وقد اخبرني من لا ارتاب
 في خبره . انهم كانوا في جبل يستغنون فيه بلبس المبطنات . ومتى صبا
 ماء في انا . من زجاج جمد من ساعته . فليس جمود الماء من البرد فقط .
 ولا بد من شركة . ومقادير واختلاف جوهر . ومقابلات كسرعة البرد
 في بعض الازمان . وابطائه عن بعض واختلف عمل البرد في الماء
 المغلي والمتروك على حاله ولقد رايت انا بالبادية الماء قد بلغ به البرد الى
 حد ما كنت اطيع ان ابشره وهو مع ذلك على حالة لم يعمل فيه
 الجمود وربما جمد ماء جيحون حتى بلغ غاظ الجمد فيه ذراعاً فصاعدا وشربه
 لذيد لا يقدر الشارب ان يعبه عبا كذا افاده الزنخشري واما الماء البارد
 في زمانك فهو منسوب اليّ ومدحه عائد عليّ وقد ذكر الوداعي في
 تذكرته قال حدثني جماعة من اهل عانه وهي من العراق انه اذا كان
 اوان الاربعينيات في الكوانين طرحوا في الماء كيزانهم وشرباتهم
 مدة الاربعينيات فاذا انقضت رفعوها الى زمان الصيف وشربوا فيها الماء
 فانها تبرد بردا كثيرا يقوم مقام الثلج كما نقله بعضهم قال وذكر لي الوزير
 العالم الفاضل نجر الدين عبد الرحمن بن مكاس ان ماء طوبه اذا شيل
 الى الصيف وسكب في آنية الماء برد الى الغاية وان ماء هذا الفصل لا يفسد
 اذا شيل بخلاف غيره من الفصول فانظر هذا الاستعداد لاجل حرّك

الذي يزيد الالكباد اما الرياح التي في زماني فانها كما قيل
رياح تبشر الارض بالقط * ركذيل الغلالة المبلول
ووجوه البقاع تنظر الغيد * ثانتظار المحب رد الرسول
وما هو من هذا القبيل
والريح تجذب اطراف الرداء كما * افضى التقيق الى تنبيه وسان
ولست كما قيل
الريح اقود ما تكون لانها * تبدي خفايا الردف والاعكان
وتميل بالاعضان عند هبوبها * حتى تقبل اوجه الغدران
فلذلك العشاق يتخذونها * رسالا الى الاحباب والاوطان
وقيل الرياح اربعة ريح تقسم السحاب وريح تثيره فتجعله كسفا وريح
تؤلف بينه فتجعله ركاما والشمال تفرقها قال مطرف لو حبست الريح عن
الناس لانتن ما بين السماء والارض وعن ابى هريرة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول * الريح من روح الله . ولم يصف احد
الريح الا القائل الفصيح

كأن سكل الهلال قُرط * او عطفة النون او قلامه
كأن لون الهواء ماء * او سندس رق او غمامه
وكانك لم تسمع قول القائل . ايها الصيف القائل
ويوم قيظ اذاب جسمي * والماء لم يشف لي غليلا
قد صح موت النسيم فيه * وكان عهدي به غليلا

وياعديم الحيا . تدم المطر والحيا . الذي هو قوام العالم . وحياء بني
آدم الذي مدحه الله في كتابه المبين . وجعله رحمة ورزقا للعالمين .
ومدحه الادباء حديثا وقديما . نثرونظما . قال بعضهم مرحبا بالغيث
الذي اغاث الانام . واروى الهضاب والاكمام . واحيي النبات والسوام

وقال آخر يافرحنا بالغيث الذي احببى الورى . ونبه عيون النور من الكرى
وقال ابن عباس رضي الله عنه . المطر بعلى الارض . يعنى انه تلقحها ومنه
اخذ ابن المعتز قوله .

ومزنة مشعلة البارق * تبكي على الارض بكاء العاسق
تلقح بالقطر بطون الثرى * والقطر بعلى التربة التائق

وقال بعضهم

اتى هذا النشار على نظام * وحاء الخير اذ جاد الغمام
فللوسى في ارضي بكاء * وللدرع ابتهاج وابتسام

وقال آخر

قفا فاعجبا من هامل الغيت انه * لا أعجب شيء يعجب العين والفكر
يد على الافاق بهض خيوطه * فيسج منه للثرى حلة خضرا

وقال الاخر

كأن السحاب الغرما تجمعت * وقد فرقت عنا الهموم بجمعها
نياق ووجه الارض قعب وتلجها * حليب وكف الريح حالب ضرعها

وقال الاخر

يهنيك ان القطر حين بدا * بشر السرور به من الرمس
نظقت بنات اللهو فيه معاً * من بعد عد الصوت والهمس
يا هذا اتدم السحاب والغيم . والرعد والبرق . وقد ابدى الشعراء فيهما
كل معنى راق وورق . فمن ذلك قول بعضهم

سحاب اتى كالأمان بعد تخوف * له في الثرى فعل الشفاء يدنف
اكب على الافاق اكباب مطرق * بفكر او كالنادم المتلف
ومد جناحيه الى الارض جانحا * وراح عليها كالغراب المرفرف

وقول الاخر

اما ترى الرعد بكى واشتكى * والبرق قد اومض فاستضحكا

فاشرب على غيم كصبغ الدجى * اضحك وجه الارض لما بكى

وقول الاخر

يوم له فضل على الايام * مرج السحاب ضياءه بظلام

فالبرق يخفق مثل قلب هائم * والغيم بيكي مثل طرف هائي

وكأن وجه الارض خلد متميم * وصلت دموع سحابه اسجام

فاطلب ليومك ارباعهن المني * وهن تصفو لذة الأيام

وجه الحبيب ومطر استشرفا * ومغنيا غردا وكأس مدام

وقول اخر

كأما الرعد بها تاكله * بادية تحاط نوحا تسجي

فاقدت واحدا تذكرت * ماقد مضى من عيشها ومن مضى

والبرق في حافاتهما يفعل ما * يفعل وجده الحزين في الحشا

وقال الاخر

يا لله يا برق ان وهعت في السحر * وحارس المحظ في شك من الخبر

قف بالثيآت واذا كرتي ذا عدت * منيهلات عذيب النغر في السحر

وتدم ايها العليج البرد والسح * لم تنظر الى حسنهما ولطفهما لم تسمع ما قيل في وصفهما

فمن ذلك قول بعضهم

نرت على الخصباء كالحصباء بل * التقت على الرضراض كالرضراض

وقول الاخر

نر لحو على ارب برد * أي در لحو لو جرد

وقول الاخر

جاءت تهادى في برود من حبر * تنردرا كان لو ذاب مطر

تطير في الحو كنوار الزهر * او شرر لو كان للداء شرر

وقول بعضهم

نظر الى وسط البسيطة ايضا * لم تبد فيه سامة سوداء
كرم السحاب فعم بالثلج الترى * ان الكريم له اليد البيضاء

وقول الآخر

اقبل الثلج فابسط للسرور * ولشرب الكبير بعد الصغير
اقبل الجو في غلائل نور * وتهادى بلؤلؤ منشور
وكان السماء صاهرت الار * ض فكان التار من كافور

وقول الآخر

ذهب صكوك يا غلا * م فانه يوم مفضض

وقول الآخر

اما ترى الرد قد وفت عساكره * وعسكر آخر كيف اصاع منطلقا
والارض تحت صريب الثلج تحسبها * قد البست جبكا او غشيت ورفا
فانهض بنار اى فحم كانهما * في العين ظلم واصاف قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا * ردا فصرا كقلب الصب اذ عتقا

وقول الآخر

راحت له لارض السماء كانهما * من كل ناحية تتفرك فضحك

وقول الآخر

نر السحاب عن اعصور دريرة * اهدت لنا نورا يروق ونورا
سابت ذوائبها معدن كانهما * اجفان عين تحمل الكافورا

وما حسن قول الآخر

طربت اى الصبوح مع الصباح * وشرب الراح والغرر الملاح
كان التبع كالكافور نثرا * ونار عند نارنج وراح
فشموم ومشروب ونار * وصبح والصبوح مع الصباح
لهيب في لهيب في لهيب * صباح في صباح في صباح

وكان صاحب بن عباد اذا شرب ماء بثلج اتسد على اثره
 فقعدة الثلج بماء عذب * تستخرج الحمد باقصى القلب
 تم يقول اللهم جدد اللعن على يزيد وقالت رابعة القيسية ما سمعت
 الاذان الا ذكرت منادي يوم القيامة وما رايت الثلج الا ذكرت تطاير
 الصحف وما رايت الجراد الا ذكرت المحتر وهكذا اهل الاعتبار والفكر
 لم في كل شيء نظر واما ما ذكر من امر مطر مصر فهو مثل يضرب للشيء
 النافع يتضرر به في كل عصر فهو من عيوب مصر الم نسمع هذا الشعر
 يقولون مصر اخصب الارض كلها * فقلت لهم بغداد اخصب من مصر
 وما مصر الا بلدة مثل غيرها * تعاقبها الايام بالعسر واليسر
 ولكنكم تطرونها بهواكم * ولم تخل ارض من محب ومن مطر
 والآفاين اخصب من معشر بها * يقاسون انواع العذاب من الفقر
 وما خير قوم تجذب الارض عندهم * بما فيه خصب العالمين من القطر
 اذا بشروا بالغيث ريعت قلوبهم * كما ريع في الظلاء سرب القطا الكدر
 واين القطر الذي هو كثر الدرر من كثافة النيل الذي يقطع السبيل
 ويظم البلاد ويشتت العباد ويهدم البناء اما سمعت ما جاء فيه من الهجا
 فمن ذلك قول المستغيث لما طغى

يارب ان النيل زاد زيادة * ادت الى هدم وفرط ستنت
 ما ضره لو جا على عاداته * في دفعه او كان يدفع بالتي
 وقول الاخر

قالوا علا نيل مصر في زيادته * حتى لقد بلغ الاهرام حين طما
 فقلت هذا عجيب في بلادكم * ان ابن ستة عشر يبلغ الهرما
 واما استشهادك بقول فلوان السحاب همى بعقل الخ فهو من قبيل
 قول ابن الراوندي

كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه سرزوقا
 هذا الذي ترك الاوهام حائرة * وصير العالم التحرير زنديقا
 وهو احد زنادقة الاسلام الثلاثة والثاني ابو العلاء المعري والثالث
 ابو حيان التوحيدي . قال الحافظ الذهبي واشدهم على الاسلام التوحيدي
 لانهما صرحا وهو يجمع وقد رد عليه كثير من العلماء قوله هذا فمن ذلك
 قول بعضهم

هذا الذي زاد اهل العلم معرفة * وزادهم بالاله الحق تصديقا
 فليس بالجهل صار الرزق منبسطا * وليس بالعلم صار الرزق محوقا
 وانما هي ارزاق مقدره * بحكمة الله فاسأل منه توفيقا
 وما احسن قول بعضهم وهو كالرد عليه ايضاً

عجبت من ربي وربي حكيم * ان يحرم العاقل فضل النعيم
 ما ظلم الباري واكء * اراد ان يظهر عجز الحكيم
 والله در القائل

ينال الفتى من دهره وهو جاهل * ويكدي الفتى من دهره وهو عالم
 ولو كانت الارزاق تأتي على الحجا * اذن هلكت من جهلن البهائم
 وفصل الخطاب في هذا المقام قول الملك العلام الله الذي يرسل
 الرياح فتثير سحاباً فيسطه في السماء كيف يشاء فتري الودق يخرج من
 خلاله وقوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا
 اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات
 كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه
 والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون .
 وحسبك ذما قولهم سحابة صيف وقرقع الصيف تأتي فتغر الناس ثم تخلف
 الوعد بالياس فكانها تقول لا مساس ونبخل لاجلك بملء الكاس . واما

النار فلا ينكر فضلها ولا يجحد . ولا يستغنى عنها دائماً كل احد . ومنافعها يطول حصرها ويصعب ذكرها قال تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا . وهي احد العناصر الاربعة واعظم ما زجر عن المعصية واذا وصفوا شيئاً بالحسن قالوا ما هو الا نار موقدة قالت امرأة انا احسن من النار الموقدة وقيل في الاخوان هم بمنزلة النار قليلها ينفع وكثيرها يضر

وفي الحديث : المصباح مطردة للشيطان مذمة لليوم مدفعة للصوم النابغة . ولا سك انها من محاسني وجمال زمني وقد جاء المثل بها مثبتا النار فاكهة التتا وقر التتا كيف لو رأيتها في مجلس في كانون بلقي فيه العود بغير قانون قد طار منها الشرار كأنها درر وقت النثار او شهب وقت الانتصار اما سمعت ما جاء فيها من الاشعار فن ذلك قول بعضهم

هات التي الأبك اصل ولادها * ولها جبين الشمس في الاشماس
يتقسع الياقوت في لباتها * بوساوس تسفي من الوسواس
انس الوحيد وصبح عين المحتلى * ولباس من امسى بغير لباس
حمراء ترفل بالسواد كأنها * ضربت عرق في بني العباس

وقول الاخر

لابنة الزند في الكوانين حمر * كالدري في الليلة الظلماء
خبروني عنها ولا تكذبوني * ألدنيا صنعة الكيمياء
سبكت فحمها سبائك تبر * رصعته انفضة البيضاء
كلما ولول النسيم عليها * رقصت في غلالة حمراء
سفرت عن جبينها فارتنا * حاجب الليل طالعا بالعتاء
لو ترانا من حولها قلت قوم * يتعاطون الكؤس الصهباء

وقول الاخر

كأنما الجمر والرماد وقد * كاد يوارى من ناره النورا

وردٌ جنيُّ القَطَافِ احمر قد * ذرّت عليه الا كدم كاهورا

وقول الاخر

اما ترى النار كيف اسقمها السق * ر فاضحت تجبو وطورا تسعر
وغدا الحجر والرماد عليها * في قيصين مذهب ومعندر

وقول الاخر

كانما النار والرماد معا * وضوءه في ذلامه يحجب
وجنة عذراء مسها نخجل * فاستمرت تحت عنبر اشهب

وقول الاخر

كانما النار في تايها * والنجم من فوقها يلظيها
زنجية سبكت اصابعها * من فوق نار نجة تغطيها

وقول الاخر

نجم ذكك في حشاها جمر * فقلت مسك وجلنار
وخدم من قد هويت لنا * اظل من فوقه العذار

وقول الاخر

ونجم كأيام الوصال فعاله * ومنظره في العين يوم صدود
كان لهيب النار يوم خلاله * بوارق لاحت في عاتم سود

وقول الاخر في كانون

وذى اربع لا يطيق النهو * ض ولا يائف السير ميم سرى
تحمله سيجا اسودا * فيقلبه ذهب احمر
ولا يهتم بها ولا يقدر على ابقاها الا القوم كرام والسادة العظام
من تجملت بهم المدن والقرى وبسطوا موائد القرى ذا ضل عنهم ضيفهم
رفعوا له من النار في الظلماء الوية حمرا

قال الآخر

ضربوا بدرجة الطريق خيامهم * يتقارعون على قرى الضيفان

ويكاد موقدهم يوجد بنفسه * حب القرى حطبا على النيران

وقال الآخر

لنيرانه في الحى اى تحرق * على الضيف ان ابطا واي تلهب

وقال الاخر ايضا

متى تأته تعش' الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

وقال الاخر

يرد اليك ما اسدته * ويهدم عليك ماشيدته

وقال الآخر

رأيت بلاد الروم عيشي عندهم * بطيب وصفوي لا يتاب باكدار

فقد ضل من قد قال فيهم بانهم * نهارا وليلا يعرضون على النار

وقال ابو بكر هذا ايضا

وصوبة وقت الشتا في مجلس * تزهو على صوب الغمام ونفخر

عامود نور بالعقيق مجوف * من ارضه لسمايه اذ تنظر

من حوله اولي النهاء اكبر * خضع الزمان لمجدهم فتأمروا

وكان هذا الغافل والمسكين الخاهل لم يعرف قدر النار واقسامها وما

ضرب من الامثال فيها مما اضيف اليها وهي نار الله نار ابراهيم نار موسى

نار القربان نار الحرتين نار الشجر نار القرى نار الحرب نار الخلف نار

المسافر نار المجوس نار الاصطلا نار الانذار نار الاستكثار نار الاستمطار

نار التهويل نار الصيد نار الرحفتين نار الغضا نار الخلفا نار الخبايب نار

البرق نار المعدة نار الحى نار التسوق نار الشر نار الحياة نار الشباب نار الشراب

نار الكي نار الذبالة قبسة العجلان فراش النار سرادق النار سعد النار

نافع ضرره . واما الحمام فهو لذة الحياة ونعيم الدنيا وشفاء البدن وجمال الحيا

قال جالينوس ان الحمام نافع في الشتاء والصيف ولين مزاجه حار او بارد

او رطب او يابس وليس هذا موضع الاستقصا في مناعه وما قيل فيه ولكن
 نذكر طرفاً من مدحه قال ابو هريرة يرفعه نعم البيت الحمام يدخله المسلم
 يسأل الله الجنة ويستعيذه من النار قال بعض السلف نعم البيت الحمام ينقى
 الافذار . ويذكر النار ومدحه الرقاتى نفسه بقوله يذهب القشافة ويعقب
 النظافة ويعشي التخمة ويطيب النعمة وقال بعضهم الحمام صيقل الاجسام
 ونظام النظافة ودافع آفة القشافة وكألك يا هذا لم تر حمامات بغداد وما
 فيها من حسن البناء والاستعداد الم تسمع بحمام بوران وحمام دار الملك
 الاشرف الذي اتخذ شبائيكه وانا بيته من فضة وذهب وبعضها على هيئة
 الطيور المعجبة واذا خرج منها الماء صوت ناصوات طيبة الى غير ذلك مما
 يدهش اللب . اما سمعت بحمام دار حمال الملك وزير المسترشد بالله
 العباسي الذي فيه مستراح فيه انبوب ان فركه الانسان يميناً خرج ماء
 حار وان فركه شمالاً خرج ماء بارد . اما بلغك حمام منجاب بالبصرة
 الذي يقول فيه الشاعر

يارب قائلة يوماً وقد ولعت * كيف الطريق الى حمام منجاب
 واما ما اورده من الاتعار في ذم الحمام فذلك في نوع خاص لم
 يكن متقناً باحكام بان زادت حرارته او نقصت عن المرام او لم يكن فيه
 استعداد تام والحمام النافع هو المعتدل في حره وبرده الطيب الرائحة
 والعذب الماء والذي اضاؤه كثيرة مشرقة وفناؤه واسع وفيه تصاوير
 بديعة الصنعة بينة الحسن مثل عاشق ومعشوق او مثل رياض وبساتين
 وطرده خيل ووحوش فان في تصوير هذه تقوية القوى الفكرية وغيرها .
 قال الحكيم بدر الدين بن قاضي بعلبك في كتاب مفرح النفس : قد
 اجمع الحكماء والاطباء والالباء قاطبة على ان النظر الى الصورة الجميلة
 البديعة الجمال تفرح النفس وتنشطها وتزيل عنها الافكار والوساوس

السوداوية وثقوي القلب قوة لا مزيد عليها سبب ازالة الافكار الرديئة عنه . تم قالوا فان تعذر حصول النظر الى الصور الجميلة فليكن النظر الى الصور الجميلة متقنة الصنعة مصورة في الكتب او في الهياكل او في القصور المشرفة وهذا المعنى قد ذكره الحكيم محمد بن زكريا الرازي وبالغ في ملازمته لمن لم يجد في نفسه افكارا رديئة ووساوس فاسدة غير موافقة للنظام الطبيعي واطال . يا هذا اما سمعت قول الشاعر

بيت بنته حكام الورى * فبهو الى الحكمة منسوب
 يجاور النار وابسكنه * يجاور النار ه الطيب
 حر هو الروح لاحسانها * والحز للاجسام تعذيب

وقول الآخر

اسعيد هل لك في زيارة منزل * تنفي عليه جوارح الروار
 بيت ترى الحدران فيه منعا * وترى السماء كثيرة الاقمار

وقول الآخر

ق بنا قبل غرة الاصبح * وقيام السقا بالاقداح
 تمشي الى النعيم الذي فيه صلاح لاحسام والارواح
 بيت ظرف تجول عيناك فيه * بين بيض الطلا وبيض القفاح
 وتلاقي الجسوم في خلع من * ه رفاق على الجسوم ملاح
 فاذا ما صقلت جسمك فيه * باكف المعيم صقل الصفاح
 تروى من الصبوح وتفت * ضن سيم الرياح قبل الصباح

وقال الآخر

وبيت كأحشاء المحب دخلته * وما لي تياب فيه غير اهابي
 أرى محرما فيه وليس بكعبة * فما ساع الا فيه خلع تيابي
 يشابه قلب الصب في حر قلبه * اذا اذنت احبابه بذهاب

توهمت فيه قطعة من جهنم * ولكنها من غير مس عقاب
يشير ضباباً بالخار مخللاً * بدور زجاج في شمس قباب

وقال الآخر

لم انس ما عتت حماما حلت به * ما بين كل رخيخ الدل فتان
في جنة من طباع اربع جمعت * ارض ودمه واهواء ونيران
فلت من حرها برداً على كبدي * وفزت من مالك فيها رضوان
فاعجب لها جنة فيها جحيم لظى * تذكي ولم تخل من حور وولدان
ونقل عن ابن بسام قال دخل الاديبان ابو جعفر بن هريرة التليظلي

المعروف بالاعبي وابوبكر بن بقي الحمام فتعاطيا العمل فيه قال الاعبي

يا حسن حمامنا وبهجتته * مرىء من السحر كله حسن
ماء ونار حماهما كف * كالقلب فيه السرور والحرن
ثم اعجبه المعنى فقال

ليس على لهونا مزيد * ولا الحمد من صريب
ماء وفيه لبيب نار * كالشمس في ديمة تصوب
وابيض تحته رخام * كاللج حين ابتدا بدوب

وقال ابن بقي

حمامنا فيه فصل القميط يجندم * وفيه للبرد حر غير ذي ضرر
ضدان بنعم جسم المرء بينهما * كالغصن بنعم بين الشمس والمطر

وقال الاعبي وقد نظر فيه الى فتى صبيح

هل استمالك جسم ابن الامين وقد * سالت عليه من الحمام انداء
كالغصن باشر حر النار من كتب * فظل يقطر من اعطافه الماء

وقال الآخر

ان حمامنا الذي نحن فيه * ايسء به واية نار

قد نزلنا به على ابن معين * وروينا عنه صحيح البخاري

وقال الاخر

ولم ادخل الحمام من اجل لذة * فكيف ونار الشوق بين جوانحي
ولكنني لم يكفني فيض مقلتي * دخلت لابكي من جميع جوارحي

وقال اخر

ولم ادخل الحمام ساعة بينهم * لاجل نعيم قد رضيت بيوسي
ولكن لتجربى عبرتي مطمئنة * فابكي ولا يدري بذلك جليسي

وقال اخر

وما اسبه الحمام بالموت لامرء * يذكر لكن اين من يتذكر
يجرّد عن اهل ومال وملبس * ويصعبه من كل ذلك مئزر
والغزفيه بعضهم بقوله

ومنزل اقوام اذا ما تقابلو * تشابه فيه وعده ورئيسه
ينفس كربى اذ ينفس كربه * ويعظم النسي اذ يقل انيسه
اذا ما اعرت الجوظرفات كارت * على من به اماره وشموسه
فلما تم كلام البرد قال له الحرُّ اُفْتُ لك من خصم الد وثقيل تجاوز الحد
وفاسق وجب عليه الحد تقابل بالهزل الجد وانت في الغي مجد . واما
ما نسبته اليّ من ذم المطرف فهو مغالطة وكذب يؤثر انما عنيت كثرته
وتواليه المضر كيف وقد ورد في الخبر : اللهم حوالينا ولا علينا وقال الشاعر
اقلل زيارة من تهوى زيارته * فالناس من لم يواصلهم اجلوه
كالغيث فيه غيات الناس كلهم * ولو يزيد على يومين ملوه
واما النار والحمام فلا شك ان صحبتها شوم وحمام . واما قولهم سخابة
الصيف فهو مثل يضرب لما يقل لبثه ويخف مكثه وشبه بها غضب
العاشق . وقال احد الحكماء الذين وقفوا على تابوت الاسكندر ورعى كل

منهم بحكمة بالغة : انظر الى حلم النائم كيف انقضى والى سحاب الصيف
 كيف انجلي . وكان ابن شبرمة اذا نزلت به نازلة يشد سحابة صيف عن قريب
 نقشع . ومن فصل للصاحب سحاب الصيف اتبت من قولك والخط في
 الماء اقوى من عندك . وفي كتاب المنهج اقبال الدنيا كللامة ضيف او
 سحابة صيف او زيارة ضيف . اما سمعت قول الاصفهاني منوهاً بشأني
 طبع الكريم لا يحتمل حمة الضيم وهواء الصيف لا يقبل غمة الغيم . يا هذا
 ليلاك طويل وعلى القلوب ثقيل يمل منه الصحيح ويضجر منه العليل ضاعف
 الوجد على المهجورين وقطع الطريق على المحبين طالما خاطبوه وهو
 لا يجيب ولا يرثي للنخب قاطن لا يظعن او عاجز قد ازمن او هائم ضل
 الطريق او سكران لا يفيق او اسير مكبل في الحديد او دهر لا يبلى مته
 الجديد او اعمى يئس من رؤية الصباح او طائر مقصوص الجناح قال الشاعر

ايها النائمون حولي اعيو * في على الليل خشية وادكارا
 حدتوني عن النهار حديثاً * او صفوه فقد نسيت النهارا

وقال الاخر

وليل كواكبه لا تسير * ولا هو منه يطيق البراحا
 كيوم القيامة في ظوله * على من يراقب فيه الصباحا

وقال الاخر

اقول والليل في امتداد * وادمع الغيث في اسفاح
 اظن ليلى بغير شك * قد بات يبكي على الصباح

وقال ابن المعتز

اقول وقد طال ليل الهموم * وسامرت نجوى فؤاد سقيم
 ترى الشمس قد مسخت كوكباً * وقد طلعت في عداد النجوم

وقول الاخر

ولرب ليل تاه فيه نجمه * قطعته سحراً فطال وعسا

وسأله عن صبحه فاجابني * لو كان في قيد الحياة تنفسا

وقال اخر

كأن التريا راحة تشبه الدجى * ايعلم طال الليل ام قد تعرضا
فليل تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

وقال اخر

لما رأبت لنجم ساه طوره * والجو قد التى عليه سباتا
وبنات بعش في الحداء سوافرا * ايقنت ان صباحهم قد ماتا

وقال الاخر

ان طال لبي بعدهم ولطوله * عذر وذاك لما افاصي منهم
لم تسر فيه لجهوه اجسنتها وقفت لتسمع ما احدث عنهم

وقال اخر

ويذلة رقتي طولها * فبتها في حبرة الداهل
كما سنقت لامرأها * في طولها من امل الجاهل

وقال الاخر

رب ليل كانه الدهر طولاً * قد تماشى فليس فيه مزيد
دي نجوم كنها انجم التسيب ليست تغور لابل تزبد
ومع طولها اهل تخرج البراغيت كنها ليوت فتنفسد وتعود فكم من
مغيث ولا مغيث قال الشاعر

رقضت براغيت الشتا فاجابها الـ * ناموس حالاً بالغناء المعلم
وتواجد البق انكشيف بطبعه * طرباً على شرب المدامة من دمي

وقال اخر

لا بارك الله في البعوض ولا * بورك في البق والبراغيت

تناهبونا كاهمهم عرب * او مناء الحكم في المواريت
فلما سمع ذلك التناء قال الى متى انى متى تموه الزيف وترتكب حد
السيف تقبح الحسن بكلام مسهجن

حسدوا الفتى اذ لم يبالوا سعيه * والقوم اعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء فلان لوجهها * حسداً وبغضا انه لدميم
اما طول ايبي فهو من فضلي كيف لا وقد جعله الله سكنا ولباسا
وجعل فيه انسا وبناسا بالاليف والسكن والحبيب الاعن وهو وقت الهنا
والمنادمة وكم نديم فيه سنك المنى دمه لم تسمع ما قاله الارب

انصب نهارا في طلاب العلاء * واصر على بعد لقاء الحبيب
حتى اذا الليل بدا داجيا * واكتحلت بالغمض عين الرقيب
فيادر الليل بما تستهي * فانما الليل نهار الاديب
كم فاسق تحسبه ناسكا * يستقبل الليل بامر عجب
ارحى عليه المين اتواه * مبات في امن وعيش خصيب
ولذة الاحق مكشوفة * يسعى بها كل عدو مرعب

وهو وقت القيام والتهجد والساجدة والتعبد فيه اس العباد وحياة
الزهاد . قال الامام البيهقي احمد بن حنبل : فلا الليل لما احبت البقاء
في الدنيا . وقال الاخر

سهرى لتنقيع العليم الدلي * من وصل غاية وطب عناق
وهو يطول على صاحب الفكر والكيب وتلي المشجور ومن فارق
الحبيب ويقصر على تسرور النائم والمتجد القائم . قال ابو بكر هذا
يا حليلي طال ليلى بالهكر * وزماني قد رهاني بالعبير
ودواني بالاغاني في مطر * في رياض زاهيات بالزهر

وشفائي في شفاه في لمي * مزجها شهيد وخمر في السحر
وقال الاخر

ان الليالي للانام مناهل * تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وضواهن مع السرور قصار
وقال الاخر

لا اظلم الليل ولا ادعي * ان نجوم الليل ليست تغور
ليلي كما شاءت فان ما تزر * ظال وان زادت فليلي قصير
تصرف الليل على حكمها * فهو على ما صرفته يدور
وقال الاخر

تطاول الليل لا تسري كواكبه * ام ان حار حتى صار حيرانا
ما طال ليلى ولا حارت كواكبه * ليل الحب طويل كيفما كانا
وقال الاخر

ورب ليل امد من نفس الع * تنق طولاً قطعته بانحباب
ونعيم اللذة من وصل معسوق تبدلته بيوم عتاب
وقال الاخر

رقدت فلم ترت للساھر * وليل الحب بلا آخر
ولم ادر بعد ذهاب الرقة * د ما فعل الدمع بالساھر

وقال الاخر

من قصر الليل اذا زرتني * اسكو وتشكين من الطول
عدو عينيك وشانیهما * اصبح مشغولا بمشغول

وقال الاخر

يا ليلة كان من نقاصها * يعثر فيها العتاه في السحر
تطول في هجرنا ونقص في الوصل فما نلتقي على قدر

وقول الآخر

عهدي بنا ورداء الوصل يحسبنا * والليل طوله كسبح البصر
فالأب ليلى مدعاهو بديتهم * ليل الضرير فصحي غير منتظر

وقال الآخر

اخو الهوى يستطيل الليل في سهره * والليل في طوله جار على قدره
ليل الهوى سنة في الحجر مدته * لكنه سنة في الوصل من قصره

وقال الآخر

ليل المحبين مطوي جوانبه * مشمر الذيل مسوب الى القصر
اذا الحبيبان باتا تحت حانبه * غابت وائلده في اجر السحر
ما ذاك الا لان صحح سم بنا * فاطلع الشمس من غيظ على القمر

وقال الآخر

تطاول الليل عم كت عهده * ما نأيت ويات الخفن في قصر
وهما به مثل التذكار شخصد لي * طال الظلام بطات مدة السهر
واما ما ذكرت من امر البرغوث فهو في الاماكن القدره بعوت وقد
يوجد في زمانك كما قيل

بالبراغيث طول الليل راتعة * أحل وطول بهر انصيف في جسدي
ليت منها بما تبلى الكرام ه * من اللبم وهن النغي والحسد
على انه قد قال الشاعر في مدحه

لا تكره البرغوث ان اسمد * بر وغوت لك لو تدرين
فبره مص دم فاسد * والغوت يقظك للفجر
وقد ذكر العلماء فوائد لدفعه وطرده ومنعه لكن لا يخفى ان شرط

العزيمة الهسه وهي العزم الجازم كما قيل ثم

اذا تحلفت امرا كنت تعيده * يجري الرمان على مجرى عوائده
فانما انت لم تكمل شرائطه * وان ذاك التواني من فوائد

ثم قال معنقاً للصيف باصاحب الحيف تجعل نحاسني عيوباً . وقد كان العيب عليك مضروباً . أما تنظر الى يومك الطويل . الذي هو كيوم الحساب وليلك القصير المهيل . الذي تخرج فيه الدواهي من الثقب واذا تعاطى الشراب فيه الندامى . اصبحوا وهم امراض ندامى . الم تسمع من قال في زمانى معترفاً بشانى

اسقني شربةً اند عليها * واسق بالله مثلها ابن هتام
عسلاً بارداً بماء سحاب * انني لا احب شرب المدام
فقام الصيف واتهر السيف وزمجر وصال وسطاً وقال . اما طول
نهارى فذاك من علومقدارى كيف لا وقد جعله الله معاتاً وجعل فيه
من الريح تعاتاً ومن كان مرحاً . رورا يراه قصباً قال الشاعر
وقصر يوم الصيف فيه وليلة الله * تاء سرور منه روف طأره

وقال الاخر

يطول اليوم لا انفاك فيه * وحول نلتقي فيه قصير
فلا اسوة بطول اياك لكن لا سواء ان كنت من هل الانصاف
والحدوى واما قصر ليلى من عدم ثقلى ومن الفرح والسرور وزوال الكدر
والشرور كما اتشدت بمسك من الشعر ولا تسعر يا مغرور ورحم الله من
قال يا مقررور

است ادري طال ليلى ام لا * كيف يدري بذلك من يتقلّى
لو تفرغت لاسنطاله ليلى * وبرعي النجوم كت نخلا
ان للعاشقين عن قصر الليلى * ل وعن طولها من الهم تغلا
وقد تغزلت الشعراء بقصر ليل ربيعي بنظم يفوق الشعرا بحسن النوع
البديعي . قال العلامة السعد في مختصره ما نصه : وقد وقع في بعض اشعار
العجم النهي عن التعجب مع التصريح باداة التشبيه وحاصله لا تعجبوا من

قصر ذوائبه فانها كالليل ووجهه كالربيع والليل في الربيع مائل الى القصر
وهذا المعنى من الغرابة والملاحة بحيث لا يخفى انه قد نظم مسند

الحجاز وزينة الزمان السيد احمد بن زيني دحلان بقوله

وجه الخبيبة كالربيع وتسعرها * كالليل في الديجور حين بصير
لكن انت تلك الشعور قصيرة * فتعجب النقاد وهو بصير
فاجبتهم لا تعجبوا ياسادتي * ليل الربيع لدى الانام قصر
ونظمه العلامة المفضل السنجي احمد امين بيت المال لا زال في عن

واقبال بقوله

عجب العوازل من اضاءة وجهها * وقصور سحر بالسواد شهير
فاجبتهم هو كالربيع وتسعرها * كالليل وهو لدى الانام قصر
ونظمه ابو بكر هذا بقوله

لا تعجبوا من ذا القصير ذوائبا * وجماله بين الانام بديع
سحر كليل والربيع كوجهه * والليل يقصر حين حل ربيع
ونظمه ايضا بقوله

لا تعجبوا من شعرها المتقاصر * وجمالها الباهي كبدر باهر
فالتسر ليل والربيع نوحها * والليل يقصر في الربيع الزاهر
واما قولك لا يطيب فيه الشراب وانه يمرض الابواب فهو فرية بلا
مرية كيف ذلك ومجلسهم منظوم بالبدر والنجوم والنسيم بينهم يدب
ويحوم قال الشاعر

وقد اضاءت نجوم مجلسنا * حتى اكتسبت غرة واوضاحا
ان جمعت راحنا عدت ذهباً * و ذاب تفاخنا غدا راحا
وقال الآخر

يا حسنها ايلة عاد النهار بها * اسكاً وطيباً واشراقاً ولالاء
قال الحسن ابن وهب ترا شربت البارحة على وجه السماء وعقد التريا

ونطاق الحوزاء فلما انتبه الصبح نمت ولم استيقظ الا بعد ان لبست قميص
 الشمس افي ليالك بلذ الشراب وقد اوقدت النار وطر الشرار وكثر
 الدخان وعمست العينان وسالت المخران وتلجلج اللسان وحث الاصوات
 وضاق المكان وسدت الاخراق والابواب والرعدة تدحل عليهم من كل باب
 ورعدة كقارئ متمتع * او خاطب تخابح ما ن خطب
 كاسد يزور او جنادل * تصطك او اواج عز تصطخب
 فما زلت تحبس الناس في الكن الذي هو عن السماء وزيتها مسكن
 وانا امتع الناس بها ولا من سبها بدرها بهجة الزمن فينظرون ويتعجبون
 ويرصدون ويحسبون يطيب لهم السرير وبلذ السمر مع نجومها وبدرها وحسن
 منظورها وتالوا نورها وانتظام دررها وما هي الا كما قيل كنها روضة مرهرة
 او صرح كس جواربه مسره او عدير تطفو عليه الفواق او بنفسج نور
 افاحه لامع او مسبح التي عليه درر غواص او ستره لعين كل نجم وخواص
 او جمر في خلال رماد او كما قال من اجاد

ساض زمرد نرت عليه * دنانير تحنطب دراهم

ولله در القائل

رب ايل صحبته كسف البيا * ل حبيب ه شنيث
 تحت سقف من الزبرجد قد * رصع حس البدر والياقوت
 وما ابلغ قول الاخر

وبتنا نراعي الليل لو بطوى برده * ولم يجل تيب الصبح في فوده وخطا
 تراه كملك الزنج في فرط كبره * اذا رام مشيا في نختره ابطا
 مطالاً على الافاق والبدر تاجه * وقد جعل الجوزاء في اذنه قرطا
 وحسبك ذها بين الملا قولهم في المتل اضيع من قور الشنا كج

قال الشاعر

خاطر يصفغ الفرزدق في الشع * ر ونحو بيك م الكساني

غير اني اصيبت اضيع القو * م من البدر في ايسال الشتاء
 فقام الشتاء وعبس وتأوه وتنفس وقال رويدا يا هذا كتمهذي بهذا
 الم تعلم بان الحكم على الشيء فرع عن تصوره كيف تعييه من
 غير ادراكه وتدبره والامعان في منظره والوقوف على مخبره اما الكن
 الذي في ايامي ويعلو به مقامي فهو مجلس قد انتظم واحتبكت وازرى بالسماء
 والفلك عقد فيه لواء الفرح والظفر على راس الاس والشمع وغدا عرف
 نده يضوع وقد اضاء بالشموع

سهب اذا جلب الظلام جيوته * جلبت جيوته الصبح قبل اوانها
 وقد اشرق بوجوه الدامي الذين فضلهم قد تسمى بقم معلوم يعلو
 على النجوم من كل ماجد سريف ولطيف ظريف وخليل صديق وذو
 طبع رقيق وحبيب يغار منه بدر الدجا وتنكسف منه تسم الضحي
 اضاءت لهم احاسيهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الخزع ثاقبه
 ويتفاوضون في حديث من قديم وحديث ارق من النسيم واحلى من
 التسنيم والشرح يطول وهذا احدهم يقول

وعشنا على رغم العذول بغبطة * كأننا خبايا السر في صدر كاتم
 كأن ليالينا وقد طاب وقتها * بقايا سواد الكحل في جفن نائم

ويقول الاخر

ولي ولها اذا انكسات دارت * رقى سحر تحل عرى الهموم
 محادثة الذن من الاماني * وبث جوى ارق من النسيم

ووصف بعضهم ذلك المجلس فقال

ومجلس لذة امسى دجاه * يضيء كانه صبح منير
 تجتمع فيه مشموم وراح * واوتار وولدان وحوور
 تلذذت الحواس الخمس فيه * بخمس يستتم بها السرور
 فكان الضم قسم اللمس فيه * وقسم الذوق كسات تدور

والسمع الاغاني والغواني * لاعينا ولشم البخور
ثم قال يا هذا اتفتخر بقمر السماء وبدر الدجى الذي يبدو اول الشهر
ناقصاً ويكون في اخره فالصا وتذكر انمثل الذي في جاء فيه نوع هجاء
عند من لم يعرف قدرى وينظر الى بدري كيف لا وحسنه في اتساق لا
لا يعتبره كلف ولا محاق

بدري ارق محاسن * والفرق مثل الصبح ظاهر
ولسان حالي يقول

ليل الحمى بات بدري وهو معتني * وبات بدرك مرميا على الطرق
شتان ما بين بدر صيغ من ذهب * وذاك بدري وبدر صيغ من بهق
ولو سمعت ما قال في القمر بعض اهل الظرف والنظر لم يتفتخر به واليه
لم تنظر قيل له انظر الى القمر ما احسنه فقال والله ما انظر اليه لبغضي
فيه قيل ولم ذلك قال لان فيه عيوباً لو كانت في حمار لرد بالعيب قيل
وما هي قال ما يصدقه العيان ويشهده الاتراف انه يهدم العمر ويقرب الاجل
ويحل الدين ويوجب كراه المنزل ويقرض الكتان ويغير الالوان ويسخن
الماء ويفسد اللحم ويورث الزكام ويعين السارق ويفضح العاشق الطارق
قال بعضهم اذا نام الانسان في ضوئه احدث في بدنه نوعاً من الاسترخاء
والكسل ويهيج عليه الزكام والصداع وقال ابن المعتز

يا سارق الانوار من شمس الضحى * ما مثل نورك في الدجى منغص
اما ضياء الشمس فيك فناقص * وارى زيادة حرها لم ينقص
لم يظفر التشبيه منك بطائل * متسلح بهقا كوجه الارص

وقال الاخر

لو اراد الاديب ان يهجو البد * ررماه بالخطبة الشنعاء
قال يا بدر انت تغدر بالسوا * رى وتغرى بزورة الحسناء
كلف في يياض وجهك يحكي * نمنا فوق وجنة برصاء

بعتريك الخاق في كل شهر * فترى كالة لامة الحجفاء

وقال الاخر في ملبج عليه اخلاق

ترى الثياب من الكتان بلحها * نور من البدر احيانا فيلبها
فكيف تنكر ان تبلى غلائله * والبدر في كل وقت طالع فيها
وهو مأخوذ من قول الاخر

لا تعجبوا من بلى غلائله * قد زر زراره على القمر

على انه قد قال بعضهم للوليد بن يزيد في كلام دار بينهما عجبت
لمن لم تحرقه الشمس ولم يفرقه المطر كيف لا يشرب الا مصحرا فوالله ما
شرب الناس على احسن من وجه السماء اوسعة الفضاء ورقة الهواء وخضرة
الكلاء وقمر الشتاء ويكفيك ذما وهجاء انك معدود من جملة النساء كما
قالت العرب . الشتاء ذكر والصيف اتى . فقام الصيف وقال انظروا ايها
الرجال الى هذا المعجب الخنخال والجهول الضال واسمعوا هذا الخبال في
ذم البدر والهلال افي المحسوس جدال لقد صدق من قال اذا لم تستع
فاضع ما ستئت وقد صح المثل المشتهر نبح الكلب القمر ويكفي القمر مدح
الله له الذي رفعه واجله وفي تلك المنازل احله سكنه السماء وخوله وجعل
النجوم عساكره وخوله واقسم به في قوله والقمر اذا اتسق فآيات القمر
ظاهرة كالفلق كم اوضح من طريق وهدى الرفيق الى العريق وذكر محبوبا
بجوبه وبلغ طالبا غاية مطلوبه . به يشبه كل وجه حسن ويتمثل به في كل
ما يستحسن بسببه تزيد المياه ويكثر الدم الذي هو سبب الحياة واليالي
به تبرد والنسيم عند طلوعه يتردد وبه يصلح الررع ويحصل النفع الم تسمع
ما يحكى ان اعرابيا نام ليلة عن جملة فقده فلما طلع القمر وجده فرفع الى
الله يديه وقال اشهد انك قد اعليته وجعلت السماء بيته ثم نظر الى القمر
فقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك واذا شاء قورك ولو شاء
كورك فلا اعلم مزيدا اساله لك فلئن اهديت الى قلبي سرورا فقد اهدى

الله اليك نوراً تم انشد يقول
 ما ذا اقول وفيك القول ذو خطل * كفيثتي فيك ذا التفصيل والجملا
 ان قلت لا زلت علويًا فانت كذا * او قلت زانك ربي فهو قد فعلا
 وما احسن قول الآخر

وحديقة غناء ينظم الدا * بفروعها كالبدر في اسلاك
 والبدر يشرق من خلال غصونها * مثل الملمح يطل من شبك
 وتعرض نقص الهلال الم تسمع من قال
 ولاح لنا الهلال شطر طوق * على لبات زرقاء اللباس
 وقول ابن المعتز

اهلا بفطر قد اثار هزاله * والآن فاند الى الندام وبكر
 وانظر اليه كزورق من فصة * قد اتقلته حمولة من عنبر

وقول الآخر

يامن بغرته الهلال اما ترى * بدر الهلال وقد بدا في المشرق
 كظريفة نظرت الى عساقها * فتنقبت خجلاً بكم ازرق

وقول الآخر

وكؤس دارت علينا بليل * تحت سقف مرصع بالحجين
 وكأنت الهلال مرآة تبر * تنجلي كل ليلة اصبعين

وقول الآخر

هلال شوال مازالت مطالعه * يرنو اليها الوري من سدة النرح
 كأصبع من نديم قد اشار الى * ساق لطيف يروم الاخذ للقدح

وقول الآخر

ان هلال النظر لما بدا * مستحسنًا في عين الناس
 وددت ان التمه عندما * راح يحاكي شفة الكاس

وقول ابن المعتز

زارني والدجا حرم الحواشي * والتربا في القرب كالعنقود
 وهلال السماء طوق عروس * بات يجلي لي في غلائل سود
 وقد اورد الادباء اكثر من سبعين تشبيها للهلال باذا القيل والقال
 ثم انك تزعم ان العرب قالت الشتا ذكر والصيف انتي لا بلغك الله الارب
 ما اجهاك بلغة العرب ما انت الا جارف سيل وحاطب ليل لانه يتضمن
 التسنيع عليك فالذم يهدى منك اليك والمدح يهدى الي منك وهو حجة
 عليك لاللك لان هذا من باب التشبيه والمبالغة اي ان الصيف كالانثى
 بجماع اللين والرحمة البالغة وذلك كما يقال ولا تشبها الله ارحم من الوالدة
 بولدها وكأنك نسبت ما قيل ببرد العجوز التي على البلا تمحوز ويقال انها
 سبعة ايام نظمها بعضهم بقوله

كسع الشتاء سبعة غبر * بالصن والصنبر والور
 وبأمر واخيه مؤتمر * ومعلل ومطفيء الحجر

اخبرني اي يوم فيك يحمد اهو اليوم الاحص الورد المصحى الذي
 يصفو بشماله وتحسر آفاقه ' او الأذب الهلوف الذي تهب بنكبائه ويكثر
 جهامه وقتامه ولسان الحال يقول

قد اخصر الوجه حتى لو جعلت ضحى * نار تأجج فوق الوجه ما احترقا
 فقولم فيك ذكر مع المقابل الذي ذكر وصف بالشدة والقسوة
 والحدة كيف لا واذا جنت عجم الناس عجميجا وضجوا ضجيجا ونوّهوا باسم
 من وامسى فيه وأوى واوقد نويرة وبذل طعما قال الشاعر

قفانبك من ذكرى قميص وسروال * ودراعة لي قد عفا رسمها البالي
 ولا سيما والبرد وافى بریده * وحالي على ما اعتدت من عمره حالي

وقول الاخر

ان فصل الشتاء منذ نحا جسم * بي أبدت بيانه الاعضاء

فيه يحتمي غربي اذ عز * انكسا فيه واحتى الغرماء
قال البدر الساري الشيخ عبد الحفيظ القاري

جاء الشتاء الذي مازلت ابغضه * في كل حال من الاحوال في زمي
البرد فيه قوي كالحوبه الاحزان * نكثر والامراض في البدن
الهم فيه كثير والرفاق غدوا * والانس ادبروا والاقبال في الحزن
شبهته بعذاب قد اتى وبه * حبس ونار عسى الرحمن يرحمني
فالدلم يجري دواما من يدي ومن * رجلاي يارب كثر اللبس امرضي
فانت عذاب وبلاء وعقاب ولا اواء يغلف فيه الهواء ويستحجر له الماء
وتكثر الانداء وتنحجر القراء وتساقط ورق الشجر ويموت اكثر النبات
والزهر وتضعف قوى الابدان ويظلم الجو وبكلح وجه الارض ويهرم وجه
الزمان وتصير الدنيا كنها عجوز هرمة قد دنا منها الموت وان وما ظنك
بنا يزوي الوجوه ويمش العينين ويسيل الانوف ويغير الالوان ويقشف
الابدان ويميت كثيرا من الحيوان فكيف فيه من يوم ارضه كالتقوارير
اللامعة وهو اوه كالزنابير اللاسعة وييل يحول بين الكلب وهريره والاسد
وزنيره والطير وصفيره والماء وخريره قال الشاعر

قد منع الماء من انس * ومكن الجو من الحس

وقال الاخر

وشتاء يخفق الكد * ب فلا يعلو هريره

كلما رام هريرا * زم فاه زمهريره

وهو ماخوذ من قول الاخر

لا ينبع الكلب فيها غير واحدة * حتى يلف على خيستومه الذبا
قال الرشيد ما ابلغ بيت في شدة البرد فانشد هذا البيت بعضهم

فقال ابلغ منه

وليلة نحس بصطلي القوس ربها * واسهمه اللاتي بها يتنبل

فقال حسبك ما بعد هذا شيء قيل لاعرابي ما شد البرد قال اذا
اصبحت الارض ندية والسماء نقية والريح شامية . وقيل لآخر فقال اذا
دمعت العينان وقطر المخزان وتلجلج اللسان . وقال الاخر برد يغير الالوان
وينتسف الابدان ويجمد الريق في الاشداق والدمع في الامايق وقال
اخر يوم جمد خمرة وخمد جمرة يثقل فيه الخفيف اذا هجم ويخف الثقيل
اذا هجر نحن فيه بين اطباق البرد ورحم البرد فما استغيث الا بجر الرياح
وسورة الاقداح . ووجد اعرابي البرد فقيل له هذا لكون الشمس في العقرب
فقال لعن الله العقرب فانها مؤذية في الارض كانت ام في السماء وقال
ابن سمعون : البرد بالري رافضي يقول بالرجعة اي متى ذهب رجوع وقيل
لاعرابي يرتعد في يوم شات تحول الى الشمس فقال الشمس تحتاج اليوم
الى قطيفة قال الشاعر

ويوم برد بدت انقاسه * نحمدش الاوجه من قوسها
يوم تود الشمس من برده * لو جرت النار الى قرصها

وقال الشاعر

يوم من الزمهرير مقرر * عليه نوب الصباء مزرور
كانما حشو جوده ابر * وارضنا فرشها قوارير
وشمس حرة مخدرة * ليس لها من ضيائها نور

وقال اخر

جاء الشتاء ومناقر * واصابنا في عيتنا ضر
ضر وفقر نحن بينهما * هذا لعمر ايكم الشر
حبست الناس في البيوت عن الاسباب ونيل الاوطار والاكتساب
وخذلتهم عن الصلاة والعبادة واقامة الجمعة والجماعة

وقال الشاعر

اقبلت يا يوم يبرد اجرد * تفعل بالاجوه فعل المبرد

اظل في البيت كمثل المقعد * منقبضاً تحت الكساء الاسود
لو قيل لي انت امير البلد * فهات للبيعة كف تعقد
لكنت كالاقطع لم اخرج يدي

وقال الاخر

وليلة نزل البرد البلاد بها * كالقلب اشعر باسا فهو مثلوج
فان بسطت يدا لم تبسطت حصراً * وان نقل فبقول فيه تبسج
فخن فيها ولم يخرس ذوا خرس * ونحن فيها ولم نفلج مفاليج

وقال الاخر

ستاء ثقص الاستدق منه * وبرد يجعل الولدان سيبا
وارض تزلق الاقدام فيها * فما نمشي بها الا ديبا
قيل لاعرابي في الشتاء اما تصلي قال البرد شديد وما علي كسوة
اصلي فيها وقال

ان يكسني ربي قميصا وريطة * اصلي واعبده الى آخر الدهر
وان لم يكن الا بقايا عباءة * مخرفة مالي على البرد من صبر
وقال الاخر نحن في الشتاء بين لثق وزلق ودمق : وقال الآخر
نحن في شتوتنا في قلق * وتمادي شفق في فرق
ليس يخلو يومنا والليل من * لثق او زلق او دمق
هبت ريح شديدة فقبل قامت القيامة فقال زبدة المختن هذه قيامة
على الريق بلا خروج الدجال ولا دابة الارض ولا طلوع المهدي فلما
فرغ من كلامه صار الشتاء اصرد من عين الحباء والعنز الجرباء تم قام وقعد
وانشد وردد وارعد

لو لم تكن لي في القلوب مهابة * لم يطعن الاعداء في ويقدح
كالليث لما هيب حطاله الزبي * وعوت لهيبته الكلاب النبع
يرمونني شزر العيون لاني * غأست في طلب العلا وتصبحوا

وقد اجبتك عن بعض ذلك وذكرت بناء الفضلاء على ما هنا لك
ولولا خوف الاطالة في هذه المسالك لفصلت لرد ونورت الخالك وعلى
سبيل الفرض والتنازل للقائل فيغتفر ذلك في جنب فضلي السامع ان
الحسنات يذهبن السيئات ورحم الله من قال وحاد في المقال
ما كان احوج ذا الكمال الى * عيب يوفيه من العين

ولقد اجاد القائل بما هو الفصل الفاصل

ومن ذا الذي ترضى سبحانه كبا * كفى المرء بدلا ان تعد معاتبه
وانما المصيبة العظمى المعائب التي لا تحصى ومن كله عيب في الاسم
والمسمى وهو يتخبط كالاعمى ومن سارت في ذمه الرسائل من كل غني
وسائل فقد كتب بعض الكتاب الى رفيقه كيف لي بالحركة وقد قوى
سلطان الحر وفرس ساطع البحر لاسما وفيه الهاجرة التي هي كقلب المسجور
والتنور المسجور وكتب بعضهم انتعل كل شيء ظله وقام قائم الهاجرة
ورمت الشمس بمحمرات الظهيرة وكتب احمر لامر حبا بالصيف من
ضيف فهو عون على الحيات والعقارب وام الذباب والحنافس وخنث البق
الذي هو آفة الخلق ثم قال فيه

من كل سائلة احرضوم طاغية * لا يحجب مخيف مسراها ولا الكليل
ظافوا علينا وحر الصيف بطيخنا * حتى اذا انتجت اجسامنا اكلوا
وقد قال عنهم حر الصيف كحد الصيف وقال بعضهم حر يتسبه
قلب الصب وينديب دماغ الضب وسئل بعضهم كيف كان الهواء
البارحة قال مات ولم يكن له نفس وقال آخر سدت الرياح فاسدت طرق
الارواح وقال الشاعر

قد اقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل سأم الحرا

اما ترى البان باغصانه * قد قلب النرو الى برا

ولله در القائل

قد هجم الصيف وولى التنا * منهزماً تباع آثاره
مبتدعاً يسلب اثوابنا * ويخرج المالك من داره
وقال آخر

حرٌّ وجدٌ وحرٌّ صد وحرٌّ * اي شيء يكون من ذا امره
قال الآخر

ويوم كان المصطلبين محره * وان لم يكن جمر قعود على الحجر
فلما فرغ من مقاله وقام يجرجر في اذباله قال له الصيف رويدا ومهلاً
فانك ان تحرق الارض ولن تبلغ الحبال طولاً فجميع ما ذكرته من
الاكاذيب المزخرفة والاقاويل المزينة ما سمعت ما قاله الاعرابي حين قيل
له ما تصنع بالبادية اذا انتصف النهار وانتعل كل شيء ظله فقال وهل
العيش الا ذاك يمضي احدنا ميلاً ويرفض عرفاً كأنه الجمان ثم ينصب عصاه
ويلقي عليها كساه وتقبل عليه الريح من كل جانب ايا هذا اسمع مني كلاماً
جزلاً وقولاً فصلاً ودعنا من تلك المبالغة والمجازفة واعرض جواهره على
السيارفة ودوى النظر والعمران وعد الامتحان بكرم المرء اوبهان
من نحلى غير ما هو فيه * فضحته شواهد الامتحان
وجرى في العلم جري سكين * خلفته الحيات يوم الرهان
فها انا اقول هذه القضايا نسمة البرهان التي قد سارت بها الركبان
يا الصيف حفيف المونة جليل المعوية كثير المنفعة قليل المضرة عظيم
المبرة ابو الحب والرياحين وام بنات البساتين وراحة الفقراء والمساكين
وستر الصعفاء والمتحمسين والعون على عبادة رب العالمين طبع التيباب
الذي هو باكورة الحياة بلا ارتياب كما ان الشتاء طبعه طبع الهرم الذي
هو باكورة العدم فانه كما قال الحبيب ابن حبيب نصرت بالصبا واوتيت
الحكمة في زمن الصبا بي نضج الحادة ونضج من الفواكه المادة ويزهو

البسر والرطب وينصلح مزاج العنب ويقوى قلب اللوز ويلين عطف
التين والموز وينعقد حب الرمان فينقع الصفرا ويسكن الخفقان وتخضب
وجنات التفاح ويذهب عرف السفرجل مع هبوب الرياح وتسود عين
الزيتون وتخلق تيجان النارنج والليمون مواعيدي مفقودة وموآيدي ممدودة
الخير موجود في مقامي والرزق مقسوم في ايامي الفقير بنصاع بملء مده
وصاعه والغنى يرتع في ريع ملكه واقطاعه والوحش تأتي زرافات ووحدانا
والظير تعدو خماسا وتروح بطانا

مصيف له ظل مديد على الورى * ومن حلا طعما وحلل اخلاطا
يعالج انواع النواكه مبديا * لصحتها حفظا يعجز بقراطا
ويصنفي ثمران زمن صباي هو الربيع صاحب المزايا
والمقام الرفيع قال بعض الحكماء هواء الربيع مورق فتتقوه وهواء الشتاء
محرق فتتوقوه فعله في اجسادكم كفعله في اشجاركم وقال بقراط الحكيم من
لم يمتدحج بالربيع وازهاره ولم يستمتع ببرد نسيجه فهو فاسد المزاج محتاج
الى العلاج قيل والعود واوتاره وكان الاممون يقولوا اغلظ الناس طبعا من
لم يكن في زمن الربيع ذا صبوة والله در ابن المعتز حيث قال الارض في
زمن الربيع عروس نخمالة في حال الازهار متوجة باكاليل الاشجار متوشحة
بمناطق الانهار والجو حاطب لها قد جعل يتسيل بمخصره البرق ويتكلم
بلسان الدمع وينثر من القطر ابداع نار ي و تغني الاطيوار ويسدوا الهزار
وترقص الغصون وتصفق المياه وتعمز العيون ويططف الليل والنهار
وظائر الفرح بينهما قد طار وضحكت الارض وابتسم الأخوان واحمرت
خدود الارض واهتز عطف البان وخضر عجبا عذار الريحان ونابه
طرف النرجس الوسنان قال الشاعر

ما الدهر الا الربيع المستدير اذا * اتى الربيع اتاك النور والنور
فالارض فيروزج والجو لؤلؤة * والروض ياقوتة والماء بلور

وقال الآخر

ان هذا الربيع شيء عجيب * تصحك الارض من بكاء السماء
ذهب حيثما ذهبنا ودرت * حيث درنا وفضة في الفضاء

وقال الشاعر

سألت الغصن لم تعرى شتاء * وتبدو في الصيف وانت كاسي
فقال لي الربيع على قدومه * خلعت على البشير به لباسي

وقال الآخر

لما زهد زهر الربيع روضة * وعدا له فضل بين عليه
قام الحمام له خطيبا ثالثا * وجرى الغدير نحر بين يديه
فلم يسمع كلامه الشتاء اسد صوتا

واصعب ما حاولت تقوية اعوج * واصعب شيء جاهل متعاقل
هذه قضايا فاسدة القياس واهية الاساس ما سمعت ما هو كالمثل
ان السم في ذلك العسل ولكن حذني وحدت عني ومن محاسني كثيرة
وفضائلي شهيرة طول الليل لذي جعله الله سكنا ولباس الانام وبرد الماء
الذي هو مادة الحياة والقوام واقطاع الذباب والبعوض وعدم ذوات
السموم من الهوام وانا حبيب لبؤك العظام واليف المتنعدين الكرام يطيب
لهم في زماني الاكل والشرب ويجمع فيه شمل الاحباب ومن ليس له
بي طاقة اعلق من دونه الباب ويسخن الخوف ويطيب العناق ويتمتع فيه
بالملايس والفرش في جميع الافاق ولذلك ضرب مثل بحريم الناعم وهو
خريم ابن عمرو بن مرة بن عوف قيل له الناعم لانه كان يلبس الخلق في
الصيف والجديد في زماني الذي هو ابو الضيف مبي يظهر فضل الغنى وانا
زمان الراحة والهنا كما ان الصيف زمان الكد والعف ولذلك قالوا من لم
يغل دماغه صائفا لم تغل قدوره ساتيا كما قيلين

وان الذي لم يغل صيفا دماغه * وجدك لا تغلي شتاء قدوره

كذلك مقسوم المعاش في الوري * بسعي ورعي تستبين اموره
 وافي مع ذلك كما قال الحبيب ابن حبيب ابامي وجيزة واوقاتي عزيزة
 رجاسي معمورة بذوي السيادة مغمورة بالخير والمير والسعادة نقلها يا تي
 من انواعه بالعجب ومناقلها تسمح بذهب الذهب وراحها تنعش الارواح
 وسقاتها يجفونهم السقيمة تقفن العقول الصحاح ان اردتها وجدت مالا
 ممدوداً وان زرتها شاهدت لها بنين شهودا

واذا رميت بفضل كاسك في الهوى * عادت عليك من العقيق عقودا
 يا صاحب العودين لاتهملها * حرك لنا عودا وحررق عودا
 ثم انك يا هذا تقنقر بربيعك الذي هو غرس يدي وسور كاسي
 واتري من بعدي كما قال الشاعر

تركت مقدمة المصيف حميدة * ويد الشتاء جديدة لانكفر
 لولا الذي غرس الشتاء بكفه * قاسي المصيف هتائماً لانتم
 ولذلك ينسب اليه فيقال البرد المستطاب برد الورد وهو برد الربيع
 الذي تقنقر به ايها الوجيه فحق لي حينئذ ان افتخر بالخريف ذي المقام الشريف
 فانه مقدمة جيشي وايام كهولتي ولذة عيشي في ايامه تجني الثمار وتتلون
 ورق الاشجار وتصفو المياه والانهار

قال الشاعر

جاء الحريف وعندي من حوائجه * ستمع بهن قوام السمع والبصر
 موز ومز ومحبوب ومائدة * ومسمع ومدام طيب ومري (١)
 فلما سمع كلامه الصيف انشد وقد قوي عزمه واشتد

(١) قال داود في التذكرة: مري من الادوية القديمة التي استخرجها
 الكلدانيون والقبط واجوده المتخذ من دقيق الشعير والغوتنج البري
 المعمول صيفاً واطال في منافعه . اه ابو بكر

ومن البلية عدل من لا يرعوي * عن غيه وخطاب من لا يفهم
 بكرر هذا الرجل كلامه ويموته مرامه وقد رددت عليه ذلك والجئته
 الى اضيق المسالك يفخر هذا الخروف بالحريف لقد خرف وبالغ في
 التخريف يقابل الحريف بالربيع يساوي بين الرفيع والوضيع والحزف واللجين
 والعسجد والنحاس ما هذا الا افتراء ومين ظاهر لجميع الناس وقد قيل ان
 برد الربيع موقق وبرد الحريف موقق وهو كقطع الموت في البرودة واليبس
 يسرع هواؤه في الجسد ويؤذي النفس قال بعضهم

لا يمكن الناس انقاء شره * من اختلاف برده وحره
 تبصره مثل الصبي الارعن * في كثرة التغيير والتلون
 وقال الآخر

لأنما من فصل الحريف فانه * مستعذب وهواؤه خطاف
 يسري من الارواح في اجنادها * بلطافة ومن اللطيف يخاف
 وقال الاخر

ولي صاحب كهواء الحريف * مضر وان كان يستعذب
 له منطق كلبالي الشتاء * طويل على برده مسهب
 بذلت له خلقا كالربيع * يطيب ومخبره اطيب
 وان كان فلي به كالمصيف * سموم الهموم به تلهب

وها انا ازيد به بعض احاديث وردت في ذمه عن ابن عباس يرفعه
 ان الملائكة لتفرح بذهاب الشتاء رحمة للمساكين وكان صلى الله عليه وسلم
 يتعوذ من كلب الشتاء وقد روي انقوا البرد فانه قتل اخاكم ابا الدرداء
 وقال بعض السلف الشتاء عدو الدين وهلاك المسلمين . فقال الشتاء وهو
 ملتف برده سحجان الله وبمحمد هذي هذا الرجل ولا يدري ولا يدري
 انه لا يدري قد عمل بقول القائل وتلقى عنه تلك المسائل

ان شئت تدعى فقيه قوم * فطول الكم ثم عمم
 وخذ من الثوب طيلسانا * واعقده فوق كميك واختم
 واجلس مع القوم في جدال * لا بالبخاري ولا بمسلم
 بهز عطف ونفض كم * وقول لا لا ولا اسلم
 تياهم ييضت رياء * وقلهم بالسواد مظلم
 ان وجدوا الوقف يا كلوه * مالوا عن العلم والمعلم
 يأتي بالحديث ولا يعزبه الى راويه ولا الى واحد من الكتب المعتمدة
 في مجاربه وحديث انقوا البرد قال السخاوي فيه لا اعرفه فان كان واردا
 فيحتاج الى تأويل فان ابا الدرداء عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم
 دهرًا . انتهى ولقصر باعه وعدم اطلاعه جهل قوله صلى الله عليه وسلم
 الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه وقوله الصوم في
 الشتاء الغنيمه الباردة وقوله مرحبًا بالشتاء فيه تنزل الرحمة اما ليله فطويل
 للقائم واما نهاره فقصير للصائم وعن قتادة قال لم ينزل عذاب قط من السماء
 على قوم الا عند انسلاخ الشتاء ويكفي ما جاء في حقه من الذم قوله
 صلى الله عليه وسلم ابردوا بالظهر فان سدة الحر من فح جهنم . فقام الصيف
 معبسا وقال سخفاً لك وتعباً ما هذا التمويه فيما ترويه تنهي عن الشيء وتأتيه
 ثم انشد

يا ايها النرجس انعام غيره * هلاً لنفسك كان ذا النعيم
 ابداً بنفسك فانها عن غيبا * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
 لانه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم
 اما الحديث الذي اورده في ذمي فقد ورد نظيره فيك كذلك مما
 يمكن حمله على المجاز في هاتيك المسالك واما الاحاديث التي اوردها في
 مدحك ففيها مقال ولم تبلغ درجة الصحة التي يصح بها الاستدلال ولو
 اردت ان اذكر مثلها في حقي لطال المجال وما كل ما يعلم يقال وقد

حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء . فقال الشفاء لعلك تعني قوله صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام هكذا ذكره ابو الوليد الازرقى في تاريخ مكة بغير اسناد ثم الزمخشري في آل عمران من تفسيره واورده الدبلي من حديث انس بلفظ تباعدت عنه جهنم مائة عام وثقبت منه الجنة مائة عام فقام الصيف مغضباً وقال واحرباه واحر قلباه ممن قلبه شيم دع عنك هذا الاستهزاء وضياح الوقت سدى وملء الصحيفة بذكر الاحاديث الضعيفة ان اردت الماخظة والجدال بشروطها المعنوية عند الرجال فاخرج الى هذا الميدان في هذا المجال وانا اسمعك من المقال ما هو اشد من وقع النبال وضعف النعال فشمم الشتاء ورفع الاذيال وسار ذات انيمين وذات التسمال وزمجر وسطا وصال وزر زئير الاسد في القتال فكتر اللغظ وكبر الشطط وطال النزال والنزاع وتزايد المقال والدفاع وعلت اصواتهما وارتفعت وارتجت الارض تحتهما وتزعزعت

قال الراوي والرائي للمحاسن والمساوى فقمت اليهما واجلستهما وهونت عليهما وقلت لهما اسمعا هدا كما ربكما ما فيه تفعلكما هل لكما في الرشد والفلاح والنصر والنجاح فالاذك المطلب والغرض والمأرب فقلت لهما اتركوا المراء والجدال والقييل والقال فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ترك المراء وهو محقق بى الله له بيت في اعلى الجنة ومن تركه وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة وقال باضل قوم بعد هدى الا واوتوا الجدل وقال ان ابغض الرجال الى الله تعالى الخصم الالذ وقال تعالى بل هم قوم خصمون وقال وكان الانسان اكثر شيء جدلا وقال تعالى ولا جدال في الحج فقالا نعم ذاك الجدال بالباطل والمودي الى الثقاتل والناشيء عن الغرض الفاسد وسوء المقاصد اما اذا كان الجدال بالحق والمقصد حسناً واتخذ الجادال طريقاً مستحسنًا فانه يكون منيعنا فقد قال

تعالى وجادلهم بالتي هي احسن . ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن
ولولا الجدال لقال من شاء بما شاء في كل حال اما سمعت قول عالم المدينة
الذي ضربت اليه اكباد الابل بلا شك كل واحد يؤخذ من قوله ويترك
الا صاحب هذا القبر الانغم صلى الله عليه وسلم وقول الامام علي كرم
الله وجهه اعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال وقوله

ولست بامعة في الرجال * اسائل هذا وذا ما الخبر

فقلت لها انكما قد خرجتما الى الفخر والتفاخر والخيلاء والشتم والسخرية
والاستهزاء وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بن اتقى وقال ان الله
لا يحب من كان مختالاً فخوراً وقال لا يسخر قوم من قوم وقال صلى الله
عليه وسلم من ستر مسلماً ستره الله يوم القيمة وحسبكما هذا التعنيف واللوم
وكفا كما ردعا وزجرا وحقت لكما الندامة ثم انشدتهما قول القائل المرشد الكامل

لا بد للكامل من ذلته * تخبره ان ليس بالكامل

يئابرى يضحك من جاهل * حتى يرى مضحكة الجاهل

فقالا نستغفر الله مما فرطنا لفرط الغضب وقبح الله اول راي عنده
انتصب ولا عدنا ناصحاً عاقلاً وحكماً حكيماً عادلاً وما جرى منا ما جرى
الا على قصد امرين بلا مراء الا اول التحدث بنعمة الله بين الوري وكفى
بذلك حمداً وشكراً قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقد جمع بعض
العلماء ترجمته ومزاياه على سبيل التحدث وليقتدي الخلف باثار السلف
والثاني احقاق الحق وابطال الباطل وكشف حال الملبس العاطل وبيان
الدعي بين الافاضل كما هو الواجب على المفاضل المناضل قال في الوهبانية
من كتب السادة الحنفية

من الدين هتك السترة عن كل كاذب * وعن مدع مالبس فيه ويشهر

وقال بعض الفضلاء

القدح ليس بغيبة في ستة * متظلم ومعرف وتخذر

ولمظهر فسقاً ومستتف ومن * طلب الاعانة في ازالة منكر
 واما احاديث من ستر مسلماً ستره الله يوم القيمة فقال الوزير ابن
 هبيرة الحنبلي في شرحه المراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس
 معروفاً بالاذى والفساد واما المعروف بذلك فيستحب ان لا يستر عليه
 بل ترفع قصته للوالي ان لم يخف من ذلك مفسدة لان الستر على هذا
 يطعمه في الابداء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله
 وهذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت واما معصية رآه عليها وهو بعد
 متلبس بها فتجب المبادرة بانكارها ومنعه منها على من قدر عليه ولا يحل
 تاخيرها وان عجز لزمه رفعها للوالي الامر اذا لم يترتب على ذلك مفسدة
 واما جرح الرواة والشهود اثناء الصدقات والاوقات والايام ونحوهم فيجب
 جرحهم عند الحاجة ولا يحل الستر عليهم اذا راي منهم ما يقدح في
 اهليتهم وليس هذا من الغيبة المحرمة بل من النصح الواجب وهذا يجمع
 عليه انتهى . ثم قال لا يريد ان تحكم بيننا وتجمع ذات بيننا . فقلت لها
 انما عندي كفرسي رهان وقد حزتما المضار في حلبة البيان ولست احكم
 بينكما بتقديم واحد منكما وكلامكما في بعضكما غير مقبول فان كلام الاقران
 بعضهم في بعض لا يعتبر عند التحول وداء المعاصرة داء عضال ورحم الله
 من قال

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً * ويرى للاوائل التقديما
 ان ذاك القديم كان حديثاً * وسبق هذا الحديث قديماً
 ولقد اجاد القائل

اولع الناس بامتداح القديم * وبذم الحديث غير الذميم
 ليس الا لانهم حسدوا الحيد * بي ورقوا على العظام الرميم
 قال الحافظ الذهبي مانصه : كلام الاقران في بعضهم بعضاً لا يعبا
 به ولا سيما اذا لاح لك انه لعداوة او لمذهب او لحسد لا يتجو منه الا

من عصمه الله . ما علمتُ ان عصرا من الاعصار سلم اهله من ذلك سوى
الانبياء عليهم السلام والصدّيقين فلو شئت لسردت من ذلك كرا ريس
انتهى . فقالا لانسلم ان كلام الاقران في بعضهم بعضا لا يبعأ به علي اطلاقه
وعومومه فانتهبه فانه لا يعرف حال الرجل الا من عاصره ولا يعرف حاله
من بعده الا من اخبار من قارنه واهل العلم هم الذين يعرفون امثالهم
ولا يعرف ذوي الفضل الا ذو الفضل فينبغي اناطة ذلك بمن علم ان
بينهما تنافسا وتحاسدا فيكون ذلك سببا أكيدا لعدم قبول كلام بعضهم
في بعض لالكونه من الاقران والمعاصرين في الزمان فانه لا يعرف عدالته
ولا جرحه الا من اقرانه اهل فنه وزمانه فقول الذهبي ولا سيما اذا لاح
لك انه لعداوة او لمذهب او لحسدهو الذي ينبغي ان يناط به القبول والرّد

قال الراوي فادهشني تقريرها وعظم علي امرها وخفت من الدخول
في الحكم بينهما والتعرض لهما علما ان الحكم لا يرضى الخصمين ولا يجمع
ذات البين ورحم الله القائل

ان نصف الناس اعداء لمن * ولي الاحكام هذا ان عدل
وعلما ناني لست اهلا لذلك ولا السير في هاتيك المسالك فلا تخفى
صعوبة امر الحرج والتعديل واقامة البرهان على التفضيل والترجيح على
التفصيل مع نقض ما اورده كل منهما من دليل وقال وقيل مما يجير
عقل النبيل فرايت المخلص من هذا السبيل ان قلت لها هل ادلكما
علي حكم عادل وحكيم فاضل يحكم بينكما بالحق ولا يشطط لا يفرط ولا
يفرط ففرحا وقالوا جميعا من هو لازلت رفيعا فقلت ذاك عين الاعيان
وزين الزمان رجل الدنيا وصاحب الهمة العليا رب المروءة والوفاء والشهامة
والصفا طرفة الطرائف كريم الشئائل كعبة الطائف في حرم الفضائل
زينة الحجاز وتهامة حضرة مولانا العلامة الشيخ عبد الحفيظ القاري

لا زالت نسخة شمائله عمدة القاري

لانسال الله الا ان يدوم لنا * لان تزيد معاليه فقد كملت
فقالا هل تحفظ شيئاً من شعره يدل على جلالة قدره فقلت لهما
عندى منه شيء ، كثير ومن ذلك قوله مديلا على بيت الشريف عبود
بطلب امير مكة المرحوم سيدنا الشريف عبد الله بن عون رحمه الله

خطرت تيمس وتثنى * ما بين سبرة والعقيق
هيفاء در شفاهها * في وسط حق من عقيق
في روضة ازهارها * ورداً وآس مع شقيق
تحكي بها وجناتها * ما في الملاح لها شقيق
العصن منها يخفي * في ظل تفاح وريق
كل المنا في تغرها * شهد وعتاب وريق
السيف من الحاظها * والريح من قد رسيق
ترمي لواحظ سهمها * فتصيب في قلب رسيق
فالردف تحت الحصريا * حبي ثقيل في رقيق
والغانيات جعلتني * رقا وما كنت رقيق

ومن ذلك قوله بتشطيري له بطابه

خطرت فصيرت انفراد رهيناً * وبدت فصيرت العيون عيوناً
وسطت بجنجر لحظها وقوامها * ورتت فابدت من هواي كميناً
حورية ابدى تبسمها لنا * دررا وياقوتاً وخرم سنيناً
سمطين من درر الثنا بانظمت * عقداً تحكم في النظام ثميناً
اخفت سناشمس الضحى بغدائر * سدلت كليل قد تطاول فينا
شمس تغيب ليلها في صبيها * والفرق امسى البدر منه دفيناً
لو ان يوسف قد راى اوصافها * اضحى حفيظ ودادها واميناً

لو عاملته بهجرتها وصدودها * امسى بها طول الزمان حزينا
 او ان يعقوباً رآها مرة * لمحت محبة يوسف وبنينا
 لو اسعفته بوصلها ورضائها * زال العمى عنه وكف حيننا
 ولما نظم اديب الحجاز ذو الفضل الممتاز الشيخ عثمان الراضي
 المعنى القديم الفارسي بقوله

لا تعجبوا ان احرقت مهجتي * من نظرة غيبت الحسا
 فانما عيني بلورة * قد قابلت من وجهها الشمسا
 قال ذاك المفضل

ياسائلي عن لهيب القلب كيف اتى * والقلب في شبح الاضلاع قد حجبا
 فقلت صدرى كبور ينم على * قلبي فقابل شمس الخد فالتبها
 فرقصا من ذلك وطربا وكانما خمرة شربا وقالوا نغديه بنفوسنا ونجعل
 حكمه تاج رؤسنا فأين مقره وماواه ومرتعته وسكناه فقلت لها الطائف
 المأنوس بزهة النفوس فتأهبا للسير من اقرب طريق ليحظيا بهذا الحكم
 الرفيق وصاحب الطبع الرقيق فقامت لتوديعها والدعاء لها واوصيتهما
 بالتأدب مع جنابه اذا حط الرحل برحابه ووقف ببابه وان يستمسكا بركابه
 وقلت هنا كما الله بصوابه في تقريره وجوابه وجمعنا به

آمين آمين لا ارضى بواحدة * حتى اضيف اليها الف آمينا

ثم ظهر لي في خلال كلامها . ولاح لي من الاستشهاد بكلامه في
 مقامها . انهما يعرفانه . وقد ترددا على مكانه . فقلت لها كيف تجهلان
 ذلك المفرد العلم . ومن هو كئنا على علم . فضحكا وقالوا قد استقصينا بحثنا
 وسوآلا تلذذا بذكر ذلك الحبيب وهاتيك السجايا وعذوبة حديثه
 وتذكر تلك المزايا

اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

كيف وهو قد اعد في داره لنا حلتين . وضيافة في كلا الرحلتين .
 فنحن له كالسمع والبصر . وكالشمس والقمر . لكل واحد منا معه وقت
 معلوم . ليس له في غيره هجوم . قال الراوي فانحسم الخصام . وانقطع
 الكلام . وانصرفا صرف الله قلوبهما . وكفانا شرهما . وقد استيقظت
 لسان الحال بقول . نادماً على ما فرط من الفضول

افرح بالبرد اذا ما انقضى * وفي زمان الحرّ بالحرّ
 وفي انقضاء البرد والحرّ لو * عقلت امري ينقضي عمري
 فاستغفر الله مما زلت به القدم . او طغى فيه القلم . واسأله ان
 يحسن لنا الختام . وان يعفو عن الآثام . واقدم ذلك هدية الى المتار
 اليه اعلاه . وانشده ادام الباري علاه

هدية المرء على قدره * والفضل ان يقبلها السيد
 فالعين مع عظم مقدارها * تقبل ما يهدي لها المرود
 وقول الآخر

ان تمام السرور للمرء ان * ياكل من طيبات غرس يده
 وان يغني بشعره ويلي * خدمته من يجب من ولده

خاتمة

(في مدح الشيء وذمه)

لا يخفى ان الكمال لله ذي الجلال وفي كل شيء ما يمدح ويذم لان
 المصلحة في ابتداء امر الدنيا الى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر والضرار
 بالنافع والمكروه بالمحبوب ولو كان الشر صرفاً هلك الخلق ولو كان الخير محضاً
 سقطت المحنة وانقطعت اسباب الفكرة ومتى بطل التحير وذهب التمييز لم
 يكن صبر على مكروه ولا شكر على محبوب ولا تعامل في بيان ولا تنافس
 في درجة كما افاده بعضهم . قال ابو عثمان الجاحظ : العربي يعاف الشيء

ويهجو به غيره فان ابتلي به فخر به ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجي
 به غيره فافهم هذا فان الناس يغلطون على العرب ويؤمنون انهم يمدحون
 بالشئ الذي يهجون به وهذا باطل وليس شئ الا وله وجهان فاذا مدحوا
 ذكروا احسن الوجهين واذا ذكروا اقيح الوجهين . قال ابن رشيق
 اكثر ما تجري هذه المادح والمدام على جهة المناقفة لا على جهة المناصفة
 ومن باب المسامحة لا من باب المشاحة والا فالشئ لا يوافق ضده
 فيكون الحسن قبيحاً في حالة واحدة والمدح ذماً لمعنى واحد لكن لكل شئ
 كما ذكر الجاحظ مساو ومحاسن انتهى . وقد تفنن البلغاء في ذلك فابرزوا
 المعاني الدقيقة في الالفاظ الرقيقة مما يدل على الذوق السليم والطبع
 المستقيم ويسمى عند اهل البديع نوع المغايرة والتغاير ومما بعضهم بالتلطف
 قالوا هو ان يُلطف الناظم او الناثر في التوصل الى مدح مذموم او ذم
 ممدوح سواء كان هو الذي ذمه او مدحه من قبل نفسه او غيره وقد
 اشتمت هذه المسامرة فيه على فصول حجة وانواع مهمة ومن ذلك ما فعل
 عمرو بن الاهتم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استشهده
 الزبيرقان بن بدر على ما ادعاه من الشرف في قومه قال عمرو اجل يا رسول
 الله انه مانع حوزته مطاع في انديته شديد العارضة فقال الزبيرقان : اما
 والله لقد علم اكثر مما قال ولكن حسدني شرفي فقال عمرو اما وقد قال
 ما قال فوالله ما علمته الا ضيق العطن زمن المرأة لئيم الخلال حديث الغني
 فرأى الكراهة في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال
 يا رسول الله رضيت فقلت احسن ما علمت وغضبت فقلت اقيح ما علمت
 وما كذبت في الاولى ولقد صدقت في الثانية فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة ويروى ان عيسى عليه
 السلام لم يعب شيئاً قط فمر يوماً بكلب ميت فقال اصحابه ما انتن ريحه
 فقال عيسى عليه السلام ما احسن بياض اسنانه وقالت للحسين بن منذر

امرأة كيف سدت وانت ذميم بخيل فقال لاني شديد الرأي شديد
 الاقدام . وقال مسلمة بن عبد الملك لاخيه هشام كيف تطمع في الخلافة
 وانت بخيل وانت جبان فقال لاني حلیم عفيف فسلم لعائنه ما ادعاه
 من مساويه وذكر من محاسنه ما لم ينزاع فيه . سعد خالد بن عبد الله
 القسري منبر مكة يوم الجمعة وهو امير للوليد بن عبد الملك بن مروان فاثني
 على الحجاج خيرا فلما كانت الجمعة الثانية وقد مات الوليد ورد عليه كتاب
 سليمان بامر به بشتم الحجاج وذكر عيوبه واظهار البراءة منه فصعد المنبر
 فحمد الله واتنى عليه ثم قال ان ابليس كان يظهر من طاعة الله عز وجل
 ما كانت الملائكة ترى له به عليهم فضلا وكان الله قد علم من غشه ما خفي
 عن الملائكة فلما اراد الله فضيحه ابتلاه بالسجود لآدم فظهر لهم ما كان يخفيه
 عنهم فلعنوه وان الحجاج كان يظهر من طاعة امير المؤمنين ما كنا نرى له به
 فضلا وكان الله قد اطلع امير المؤمنين من غله وغشه على ما خفي عنا فلما اراد
 فضيحه اجرى ذلك على يد امير المؤمنين فالعنوه لعنه الله ثم نزل . ومر غيلان
 ابن خراشة الضبي مع عبد الله بن عامر بنهر ام عبد الله الذي شق البصرة
 ويعرف بنهر عامر فقال عبد الله ما اصلح هذا النهر لاهل هذا المصر
 فقال غيلان اجل والله ايها الامير ينعلم العوم فيه صبيانهم ويكون
 لسقائهم ولسيل مياههم ويأتيهم بميرتهم فلما عزل عبد الله وولي زياد
 وكان مولعا برفع اثار عبد الله واراد طم هذا النهر فلم يمكنه لفرط منافع الناس
 له فركب يوماً ومعه غيلان على شط ذلك النهر فقال له زياد ما اضر
 هذا النهر لاهل هذا المصر فقال اجل والله ايها الامير تنزمنه دورهم
 وتغرق فيه صبيانهم ويكثر لاجله بعوضهم فعجب الناس من تصرفه
 وكان العباس بن علي عم المنصور ياخذ الكاس بيده ثم يقول اما المال
 فتبلعين واما المروة فتخلعين واما الدين فتفسدين ويسكت ساعة ثم يقول

اما النفس فتسمحين واما الهم فتطرددين افتراك عني تفتلين ثم بشرها
 وشكا ابو العيناء حاله الى عبد الله بن سليمان فقال اليس قد كتبنا
 لك الى ابراهيم بن الدير قال كئبت الى رجل قد حصر من همته طول
 الفقر وذل الاسر ومعاناة محن الدهر فاخفت في طلبتي قال انت اخترته
 قال وما علي اعز الله الامير في ذلك قد اختار موسى قومه سبعين
 رجلا وما كان منهم رشيد واختر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن
 ابي سرح كاتبنا فرجع الى المشركين مرتدًا واختر علي رضي الله عنه
 ابا موسى حكما فحكم عليه ونقل ابن معصوم عن الشريف المرتضى
 قال حكى ان ابا النظام جاء به وهو حدث الى الخليل بن احمد ليعلمه
 فقال له الخليل يوما يمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف لي هذه
 الزجاجة فقال بمدح ام بدم فقال بمدح قال نعم تريك القذى ولا تقبل
 الاذى ولا تستر ماورى قال فدمها قال سريع كسرهما بطي جبرها
 قال فصف هذه النخلة واوماً الى نخلة في داره قال بمدح ام بدم قال بمدح
 قال هي حلوة مجنناها باسق منتراها ناضر اعلاها قال فدمها قال هي صعبة المرثقى
 بعيدة المحتنى محفوفة بالاذى فقال الخليل يا بني نحن الى التعلم منك
 احوج قال السيد المرتضى وهذه بلاغة من النظام حسنة لان البلاغة
 هي وصف الشئ ذما او مدحا باقصى ما يقال فيه انتهى وقد ذم الامام
 علي كرم الله وجهه الدنيا كغيره فقال ما اصف من دار اولها عناء
 واخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها قن
 ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها واتته ومن ابصر بها
 بصيرته ومن ابصر اليها ابصرته اعتمته وقال المامون لو نطقت الدنيا ما وصفت

نفسها باحسن من قول ابي نواس

وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين عربق
 اذا امتحن الدنيا ليبب تكشفت * له عن غدو في ثياب صديق

ومدحها الامام على رضى الله عنه وقد سمع رجلا يذمها فقال ايها الذمام للدنيا المغتر بغرورها يم تدمها انت المتجرم عليها ام هي المتجومة عليك متى استهوتك ام متى غرتك ابصارع آباءك من البلا ابضاج امهاتك تحت الثرى كم عللت ولديك وكم مرضت والديك تبغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء لم ينفع احدهم اشفاقك ولم تسعف عنه بطلبتك ولم تدفع عنهم بقوتك قد مثلت لك بهم الدنيا نفسك و بمصرعهم مصرعك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عاقبة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد احباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحى الله ومخبر اولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت بينها ونادت بفرافقها ونعت نفسها واهلها فمثلت لهم بلاءها والبلا وشوقتهم بسرورها الى السرور راحت بعافية وابتكرت بفيجعة ترغيباً وترهيباً وتخويفاً وتحذيراً فذمها رجال غداة الندامة وحمدها اخرون يوم القيمة ذكروهم الدنيا فذكروا وحدتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا انتهى

وقد نظم ابن ابي الاصبع معاني هذه الخطبة وذكره ابن حجة قال ابن معصوم ولعبد الله بن المعتز رسالة يمدح فيها الدنيا حذا فيها حذو هذه الخطبة واين الثريا من الثرى ومطلع سهيل من مواقع السيل ثم ذكر شيئاً منها والارض تفاخر السما بما ذكر وللإمام الميجل احمد ابن حنبل

قنعت من الدنيا بلقمة بأئس * ولبس عبا لا اريد سواها
لا في رايت الدهر ليس بدائم * ودهري وعمري فانيان كلاهما

وكان رجاء اذا كلمه من لا يسمعه قال له ارفع صوتك فان باذني بعض ما يروحك وتنسب هذه النادرة الى الناصر الاطروش صاحب طبرستان

وكان من ذكاء القلب وجودة الحس بحيث يفتن بكل ما يكتب بالاصبع
على يده فيكتفي بذلك عن السماع فيجيب عنه ومدح ظريف ابن
سواده عمرو بن هداب وكان ابرص فلما انتهى الى قوله
ابرص فياض اليدين اكلف * والبرص اندى باللهي واعرف
صاح به الناس وقالوا قطع الله لسانك فقال عمرو مه البرص من
مفاخر العرب اما سمعتم قول ابن حبناء

لا تحسبن بياضي في منقصة * ان اللاميم في اقرانها بلق
او ما سمعتم قول ابن المشتهر

ايشحنى زيد بان كت ابرصا * وكل كريم لا اباك ابرص
ولما سماع البرص في بلعاء ابن قيس قيل له ما هذا يا بلعاء قال سيف
الله جلاه وانظر قول اهل المعاني في مجدر كسلحة نقرتها الديكة وقول
ابن المعتز فيه ونسبه بعضهم لغيره في مغن جدر

واهيف جدر لما استوى فزاده حسنا فزالتم هموم
كانما غنا لشمس الضحى * فنقطته طربا بالنجوم
وقد نظمت المعنى الاول بزيادة فقلت

ومجدر كسلحة * قد نقرتها الديكة

او ارقم في سكله * منقط كالسمكة

وقد كان ابن الرومي ممن يخالف الناس ويعكس القياس فيدم
الحسن ويمدح القبيح وهو من غرائب الوجود في ذلك هجا الورد
لانه كان يركم من رائحته فقال

وقائل لم هجوت الورد قلت له من سومه عند لقياه ومن سخطه
كانه سرم بغل حين اخرجه * عند البراز وباقى الروث في وسطه
واين هذا التشبيه القبيح من قول الاخر المليح

كانه وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

وقد قال فيه بعضهم

للورد عندي محل * لانه لا يمل

كل الرياحين جند * وهو الامير الاجل

ووصف البحثري يوم الفراق بالقصر وقد اجمع الناس على طوله فقال

واقدمت تأملت الفراق فلم اجد * يوم الفراق على امرء بطويل

قصرت مسافته على متزود * منه لوهن صباية وغيل

كذا قاله اهل البديع ثم رايت في الاغاني في الجزء الثاني في اخبار

ابن مياده ما نصه : صوت اى من شعره

فلا انسى ما الاشياء لا انس قولها * وادمعها بذرين حسو المكحل

تمتع بهذا اليوم القصير فانه * رهين بايام الدهور الاطاول

انتهى فكان البحثري احده من هذا ثم رايت في عنوان المرقصات

والمطربات نسبة هذا البيتين الاخيرين للرماح بن ازد وهو من المخضرمين

ثم رايتهما في الحماسة منسوبين لابن مياده قال الصفدي والحريري انما

فاق على من سواه بما اتى به في مقاماته من مدح الشيء ودمه كما فعل في المقامة

الدينارية والتي فاضل فيها بين كتاب الانشا والحساب والتي ذكر فيها البكر

والثيب والزواج والعزبة وغير ذلك وهذا هو البلاغة والقدرة على التلاعب

في الكلام وصحة التخيل والذوق انتهى اقول ومما ينظم في سلك هذا النوع

تخاصم ابي الاسود الدئلي مع زوجته عند معاوية وقد ذكرها الشريشي

في شرح المقامات قال واظن ان الحريري صنع تخاصم ابي زيد مع

زوجته على ذلك اه وكذلك مجادلة النعمان بن المنذر مع كسرى في ذم

العرب وهي شهيرة وكذلك مفاضلة الغنى الساكر والفقير الصابر وقد مدح

ابو عثمان الجاحظ انواع العلوم وذمها باعيانها معربا عن قدرته على الكلام

وبعد شاوه في البلاغة وللحافظ الذهبي رسالة في زغل العلوم وفي الخاطر جمع

رسالة فيما قيل في الكتب من ذلك وغيره بلغ الله بنه الامل قال الصفدي

وقد وضع بعضهم كتابا في المفاضلة بين الورد والبرجس لان الشعراء اولعوا بذلك فاطالوا واطابوا والمفاضلة بينهما ممكنة كما صنف الفناء مفاخرة السيف والقلم ومفاخرة الدرهم والدينار ومفاخرة البجل والكرم ومفاخرة مصر والسام ومفاخرة الشرق والغرب ومفاخرة العرب والعجم ومفاخرة النظم والنثر ومفاخرة الحوارص والمردان اذ كل ذلك يمكن بيد الاتيان بالحجة للجانبين وما مفاخرة المسك والرماد فما للعقل في ذلك مجال وما عسى البليغ ان يقول في الرماد اذا فاخر المسك . ونلاحظ في ذلك رسالة بديعة انتهى . قال في كشف الظنون المفاخرة بين دمشق والقاهرة للسعاوي وللقاضي شمس الدين محمد بن احمد اساحي المتوفي سنة ٨٤٣ مفاخرة السيف والرنج لعلاء الدين علي بن محمد السعدى المتوفي سنة ٧١٧ مفاخرة السيف والقلم لابي حفص احمد بن محمد بن احمد الكاتب الاندلسي وكان . يبعده سنة ٤٢٠ وهو اول من سبق اليه القول بالاندلس . مفاخرة العلم والسيف والدينار لعلي ابن هبة الله بن ماكولا . مفاخرة الحرمين ومفاصلة الخلدن للامام نورالدين علي بن يوسف الرندي الانصارى مؤلف محصر مناظرة الشمس والقمر لخواجه مسعود القمي وله مناظرة السيف والقلم . مناظرة اهل السنة والروافض لابي الحسن يوسف الطفيلي مناظرات في الاصول مناظرات الانسان انتهى وذكر ايضا مقامات السيوطي في مفاخرة الرياحين والازهار وانواع الطيب وبعض الفواكه وانواع النقل وانواع الجواهر وقد رايتها وكذا مفاخرة الحرمين المذكورة في الكشف في نزهة الجليس وفيها ايضا المقامة المسماة مذاكرة ذوى الراحة والعنا في المفاخرة بين الفقر والغنى للسيد محمد بن علي بن حيدر الموسوى وقال في الكشف زهر الجنان في مناظرة القنديل والشمعدان رسالة بليغة من انشاء البارح تاج الدين عبد الباقي ابن عبد الحميد السخاوي ذكرها النويزى بتمامها انتهى ورايت مفاخرة السيف

والقلم لجمال الدين بن نباته في خزانة الادب لابن حجة في نوع المغايره وكذا الشيخ ابن الوردي مفاخرة صغيرة بينهما وكذا مفاخرة النرجس والورد المسماة بالجوهر الفرد لابي الحسن علي بن محمد الماردبني خدم بها قاضي القضاة شهاب الدين احمد بن كشك وقد ذكرها في الكشف ايضاً وهي لطيفة ذكرها في نفحة اليمن وكذا ذكر فيها مناظرة النجم والطبيب المسماة منية اللبيب للعلامة الاديب محمد مؤمن ابن الحاج محمد قاسم الجزائري وقد رايت ايضاً مفاخرة الشمس والقمر ومفاخرة الاعمى والبصير وما عرفت مؤلفهما واول الاولي الحمد لله الذي اشرق شمس الاداب سماء المعاني والبيان الخ واول الثانيه الحمد لله الذي نور البصائر بقدرته وفتق عن زهر الاداب بحكمته وقد رايت ايضاً مفاخرة السفر والاقامة وهي كلمها ابهى مقامه لأديب الشام العلامة الهمام الشيخ محمد بن محمد المبارك الجزائري وبلغتني انه طبع بالشام مفاخرة الارض والسماء وكذا مفاخرة الماء والهواء. ومما الف في هذا النوع كتاب لابن رشيقي وكتاب المحاسن والمساوي للشيخ ابراهيم بن محمد البيهقي وكتاب اللطائف والظرائف للشعالي وكذا كتاب اليواقيت في المواقيت له ايضاً وكتاب المحاسن والاضداد لابي عثمان الحافظ المتوفي سنة ٢٥٥ كما في الكشف ويقال ان للحافظ مثالب العرب ولم اره في ترجمته انما ذكر في الاغانى كتاب المثلث لغيره ولا يستبعد ذلك ممن يفاخر بين المسك والرماد والله يقول ختامه مسك والله اعلم * يقول العبد الاقل هذا جهد المقل وزهد المخل مع توزيع القلب في كل محل كما قيل

مشئت القلب في شام وفي يمن * وفي العجواز وفي اطراف بغداد
وليعلم اني لم اصرح باسماء اصحاب الاشعار في هذه المسامرة الا اهل
العصر ليحصل التمييز والتنويه باهل المصر والا عبد الله بن المعتز الخليفة
العباسي طود الفضل الراسي فانه مؤسس البديع وهذه الصنعة وامام

الفن وشيخ الجماعة وكلام الماوك ملوك الكلام وقال المبرد لا يكمل ظرف
الرجل حتى يقرأ بحرف ابي عمرو وينفقه على مذهب الشافعي ويروي شعر
ابن المعتز واني اقول كما قال الشيخ مرعي الحنبلي
لئن قلد الناس الأئمة انني * لفي مذهب الحبر بن حنبل راغب
اقلد فتواه واعتق قوله * وللناس فيما يعشون مذاهب

قال ذلك بسمه ورقه نقله العبد الحقير ابو بكر بن محمد عارف خوقير
الكتبي بمكة في باب السلام عني عنه الملك السلام وكان تحرير
ذلك في غاية جمادى الآخرة من عام الف وثلاثمائة
وستة عشر من هجرة خير البشر صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب
العالمين آمين



هذه محاكاة الفاضل الاديب العلامة الشيخ

عبد الحفيظ القاري

بسم الله الرحمن الرحيم ❖ ❖

حمداً لمن خلق الزمان بالصنع البديع . وقسمه الى صنف وحريف
 وشتاء وربيع . وادع في كل فصل حكماً . وجعل في اختلافها صلاحاً
 للزروع ورحمة . وللنوع الانساني صحة ومحمد . والولاية والسلام على من
 اوضح معاني الاختلاف . ومدح كل فضل . وبيّن المنافع وبين الخلاف
 وعلى آله الدين اشرفت معارفه على الملوك . وبينوا منهاج الهداية الى
 الى معرفة الحق . واصحابه الذين نشروا الايمان وتويع المالك . ونسروا
 درر العلوم في تلك الامم وامنوا المسالك . والناعين لافعالهم المحررين
 بتحقيق ما هنالك . وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين . والحمد رب
 العالمين (اما بعد) فان محرر هذه المقامة الزبير . والمفاخرة التي هي بين
 اترابها وحيد . هو الفاضل الذي شهد الزمان بجلاله . العالم الذي اقرت
 الاقران بجلده ونبله . الذي ان اشأ خضعت له عند الاقلام . او نظم
 كان عقداً في نحر المجترى وابى تمام . ونجبل من رفة نظمه القاذي الفاضل
 والنظام واقراً بالسبح لفظه التلعفري وابن سبه . حسن ظنه العاجز .
 واننى ممن يارز . وطلب منى فضل الحكومة بين الشتاء والصيف . وهذا
 امر خطر كالوقوف على صراط احد من السيف . ولكن امثال امره الكريم
 اوجب حمل العباء الجسم . وبيننا افكر في امر خطير . وتقديم وتأخير .
 اذ دخل الشتاء والصيف على . ووقفنا بالادب بين يدي . وقوف الخصمين
 الالدين . او الاخوين المتباغضين . وكل لا ينظر الى خصمه الا شزرا .
 ويقول ما اوردت من بحر فضلى الا قطراً . وصلبا الحكم بينهما بالرفق .

كما اشار عليهما رب الطائفة والحذق . فقايلتهما بالنعظيم والاجلال .
 وقلت المحاكمة بينكما في الاستقبال . ولكن اسمعا هذه المقالة مني . وخذا
 هذه النصيحة عني . كيف احكم لاحدكما على الاخر . ولكل منكما مفاخر
 ومنافع الانسان وما آثر . تتما في الزمان كالعينين في الراس . وهل يرضى
 بذهاب احدهما احد من الناس . وما ارا كما للزمان الا كركبتي البعير .
 التي يتحرك بهما في البروك والمسير . ها اتما قد رضعتما در الغمام . ولم
 تقدرا على الفطام عنه ايام . جاء البرد والمطر في ايام الشتاء المنيع .
 ونمت الاشجار وظهر النوار باعتدال هواء الربيع . ونفجت الفواكه بحرارة
 الصيف وسمومه . وشرابها من حميمه ويحمومه . ونفاقت الثمار من هيس
 هواء الخريف . وذوت الرباص وسقطت الاوراق من الريح العنيف واذا
 كانت الفصول لا تعمل مقتضاها . مما اودعه فيها المدر العلام وبراها .
 لتغير هوا البلاد وما صحت نفساده الاجساد . وما طابت الفواكه
 والمزروعات . وللحق سبحانه في تنقل الفصول آيات واي آيات
 فالبرد الشديد عند اهل البلاد الباردة فائدة واي فائدة . به تندفع
 الافات عن الاشجار والارض . ويظهر من المزروعات كل شيء غرض .
 ولولا تجمد الثلوج في الديار الرومية وما ضاهاها . ليبست اشجارهم
 وزروعهم ولم تر بارضهم مياها . وعبروا على الثلج بالبركة النازله .
 والرحمة الشاملة . حتى اوردوا فيه مثالا كافي . الشتاء الدافي كالصديق الجافي
 والصيف عند اهل بلاد الحارة له منافع . اتفقت على حسنه اهل العقول
 والطبائع . به تتم صحة اهل تلك الجهات . وترتفع بسدة الحرارة كثرة
 الرطوبات . وينضج بها شجر النخل وجميع الثمار . التي لا تثبت الا في تلك
 الديار . وقد قيل الشتاء والصيف كفتا ميزان . اذا فسد احدهما فسد
 الآخر بلا نكران . فكيف يطلب احدكما الفضل على اخيه الذي يوازنه

ويضاهيه . وهو لا يقوم الا بمعاونته . ولا ينتصر الا بمساعدته ولا يفتخر
الا بمجاسنه ولا ينفق الا من معانده * فلما سمعا منى هذه المقالة . وظهر حسنهما
لدهما ظهور الغزالي . رضخا عن المفاخرة الى الصلح وتركا بينهما العناد
والشع فقلت لهما الصلح خير ولا عار فيه على احدكما ولا ضير فقلت في الحال
مقسماً ولحاضرها مطيباً ومتمماً

تفاح الصيف والشتاء * وصار كل له هواء
فلاستاء خير وبر * والبذر والزرع والعتاء
وللصيف الزهور نجر * والاس والنقل والهناء
فافتراقا عن تراض وعن * رصين عفوله صفاء

فلما سمعا هذه الايات قالوا ما فات . مات . وسأت هذه الايات
مادحا الموءلف سلمه الله من الآفات

ايا من رقى اوج العلاء بكماله * وواح انى الخوزاء عطر مقاله
واخفى نجوما قد حجلن لنظمه * وقلن لى ما الزهر تزهو كقاله
هو العالم المفضل من حسنت له * خلائق لطف جمعت بكماله
له الراية البيضاء في كل محفل * وفي العلم والتعليم جل جماله
حوى كل علم فهو فيه مقدم * ومن رام يحكى فهو كالما وآله
بجزم وعزم نال مجدا ورفعة * ونعجز ان قلنا نجبي بمثاله
فاله ما ابدى مفاخرة الشتا * لصيف وهل من يقتدى بفعاله
يقدم برهان الشتاء بحكمة * ويعقبه بالصيف كالمثواله
فيظهر مغلوبا ويرجع غالبا * بتعبير اقوال بدت بمجداله
فمن كابن خوقير ابو بكر من غدا * اماماً لتأليف وذا من نواله
بقر بفضل كل من سام علمه * ولولا العدا ضاعت بقايا خصاله
حميد السجايا والمزايا طبيعة * لذا كل من والاه بدرى بحاله

انيس خليق ليس بالنفس معجبا * صدوق وفي في ابتدا وماآه
والحمد لله على التمام والصلاة والسلام على افضل الانام نمق
هذا الصلح والتقدير العبد العاجز الحقيير راجي رحمة ربه
البارى عبد الحفيظ بن عثمان القارى غفر الله ذنبه
وستر عيبه وفرج كربه امين

—>o<—

صورة تقريب الاديب الأمام العلامة الهمام

الشيخ عبد الغني اللبدي النابلسي

الحمد لله الذي اطلع شمس الادب من ديار تهامة فكان ذلك أكبر
آية على فضل اهلها واعظم علامه والعلوه والسلام على سيدنا محمد الذي
كانت تظلم الغمامه وعلى اله واصحابه الخائرين قضبات السبق في مضار
الاستقامه اما بعد فقد من الله تعالى على في هذا العام السادس عشر
بعد الثلاثمائة والالف من هجرة المنطقي عليه الصلاة والسلام زيارة
بيت الله الحرام وشهود المساعر العظام فاجتمعت بصاحبنا الاديب والعلامة
الاريب ذى الراى الدائب والفهم الثاقب الفاضل النحرير الشيخ ابي بكر
ابن محمد خوفير القاطن في ربوع هذا البلد الامين والمعدود من اعيان
ادباء وفذلاء ساكيميا العرانيين فاطلعتني حفظه الله تعالى على هذا التأليف
النفيس الذي اذعن لفضله المرؤس والرئيس في المفارقة بين الشتاء والضيف
بكلام لا تسطط فيه ولا حيف فقد سلك فيه مسلكا وسطا مع اني لم اجد
له فيه فرطا بل هو مؤانف بديع مرصع بالجواهر النفيس اتم ترصيع فمن
تأمله وجد فضله على جانب عظيم من الترجيح غنيا عن الاطناب والاطراء
في مقام المديح فلا يزينه مدح امثالي ولا يشينه قول قالى وبالجملة فهو
كشادن حارت في او صافه العشاق واشتغلت بالتطلع الى شمائله احداق

الآفاق ولا سيما وقد تحلى جيده بعقد الدر الذي نظمته المحكم الهام العلامة
 اللوذعي الالمعي المقدم ذو القدم الراسخ في جميع العلوم والمقام الشاخص في
 معرفة المنطوق والمفهوم ذي الآداب الشهيرة والفضل الساري الشيخ
 عبد الحفيظ عثمان القاري متعنى الله بحياتهما واعاد علي من بركاتهما
 وارجو ان يمنحاني صالح دعواتهما وان ينفعاني بحمدليل توجهاتهما فاني لذلك
 فقير وكل منهما بعقل الخير جدير قاله بنعمه ورقمه بقلمه الفقير
 اليه تعالى عبد الغنى الملبدي
 التالسي الحنبلي عفى عنه

صورة تقرير الفاضل الاديب الكامل الارب
 الافندي محمد الباز المكي

حمد لمن انزل لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف وجعل
 لكل منهما سراييل ثقيلا الحر والبرد مع الاطعام من جوع والامن من
 الخوف وصلاة وسلاما على من اوتي جوامع الكرام واشتات الفضائل وعلى
 اله واصحابه وتابعيهم السالك كل منهم منهاج ادا به ملا تشبهه فيهم لقائل
 وبعد فلما سرحت الطرف في محاسن روض هذه المقامة وارتويت بريق
 رائق معانيها الفيتها لكل بديم مدامة لا بل هي السحر الا انه الحلال
 والماء الا انه الزلال تشهد لمحورها الفخر ابي بكر خوقير بالفخر وتدعن بان
 ما اتى به فيها هو دمية القصر وبثيمة العصر ما بين مواصيل رائقه ومقاطع
 فائقة وامثال تضرب للناس الاستثناس وروايات تطرب الأسماع لرقتها
 بلا التباس فاخر فيها بوسع دراينه بين الشتاء والصيف وساعد كلا
 منهما على صاحبه بلا حيف بالدرقة والسيف ولما تلاقيا خصمين بغى بعضهما

على بعض وتطاوت اليهما اعناق الناظرين من الطول والعرض وقعا
 بحضرة المولى الجليل ذى الفضل السارى العالم العلامة ذى العامة والتبهاة
 استاذنا الشيخ عبد الحفيظ عثمان القارى وارنصياه لهما وعليهما حكما وجعله
 كل منهما لراية نصره مقدما سلك اعزه الله في الصالح بينهما جادة العدل
 والانصاف وحقق اكل منهما الفضل على صاحبه بما اوجب له الاعتراف
 بمعان سيارة حدثت عنها القوافي سلاسة ومثانه والفاط كحب الغمام لا
 يشك العقدة المنظوم في انها فاقت حمانه ومنثور كانه الدر المنثور ومنظوم
 هو اخرى بقلائد النحور فلله درهما من جليلين مؤدبين والله نخرها من
 تخيمين مهذبين لا زالت شموس الاداب بمطالع سعادت هما ساطعة وشموس
 تسارد المعاني لعزة قوة بلاعتهما خاضعه وزادها الله اسطة في العلم
 والجسم واحيا بقاء حياتهما من ربيع الاداب ما اندرس من رسم
 كتبه بقلمه الفقير الى مولاه ذى الاعزاز
 محمد الباز



صورة تقرير الحكيم محمد اجمل خان بهادر الدهلوى طبيب

الذات النوويه الرامپورية سلمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من جعل الفصول سناء ومصيفا وربعا وخريفا وادع في كل
 منها الآثار العجيبة والخواص الغريبة والصلوة والسلام على رسوله الذي
 هبت به نسائم الروح والريحان وزال بزلال كلامه حر الفرق والعصيان
 واصحابه الذينهم كالشموس في سموات العلى والبدور الكاملة في الدجى
 اما بعد فقد فزت برسالة في غاية الفصاحة ونهاية الرجاحة والملاحة ومقالة
 في نهاية البلاغة محكمة الصنعة موقفة الصياغة مرتع لافكار الادباء ومطعم

لانظار الفصحاء تراها بكرًا تنفج في حلل الحجاز وتثايل تيبها على شوارع
الحقيقة والحجاز تنجذب القلوب الى حسنها وجمالها وتندش الابصار من
غنجها ودلالها كلما افكرت في محاسنها ازددت بها شغفًا ومتى اقتفيت
انارها حصلت منها طرفا (نظم)

هي روضة لوشمتها * لجنت من ثمراتها

وهي التي تبق الاديب يسر من نفحاتها

وتلك الرسالة مؤلفها الفاضل اللبيب والعالم الفاضل الاديب النبيل
التحرير الشيخ ابو بكر بن محمد حوقير وضع فيها بدائع المعاني وصنائع البيان
لا كالتى لاتبين ولا تبان فيا لله من ربح هبت من ديار تهامه وظهور نجم
تلا لا بعد استتاره تحت الغمامه الا ايها الطالع الصالح تجد فيها الحر والبرد
الكالح متنازعين كالمتعادين اذا نظرت الى صحج الاول وجدتها ربيعة
وان لا حظت براهين الثاني الفيتها منيعه فانتهى امرها الى المصنف
الفاضل وركنت قضيتها الى هذا القاضي العادل فراعى الجانبين واتى
بما ليس فيه رين ولا شين والحق ان فيها من نوادر الادب ما تجود بها
ادباء العرب ان رايتها ازددت بها خبرة وبصيره لانها طلعت كالدراري
المنيره وهي تضاهي الكتب الشميرة في هذا الباب بل ورفعت عن سرائرها
الحجاب هذا والحمد لله حالق الخلق ومنزل الكتاب وتمنن الاعمال
يوم الحساب

الحكيم محمد اجمل بن الحكيم محمود حان الدهلوى

نقل من حطه الشريف حرفا حرفا

صورة تقریظ علامة المعقول وامام المنقول مولانا الشيخ
محمد طیب المکی رئیس المدرسة العالیة الرامبوریه
لا زال فی رتبة علیه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي وسم المواسم بحلى الثغور البواسم وزين الزمان بهذه
الاربعة الاركان فاست في غلايل وتاهت بتلك الحلى والشمايل تسمى
فضولا وهي موصوله وتبدو مديحة وهي من الدرر مغسوله وليس هذا
باعجب من اختلافها في العدد بحسب اختلاف الافاق والبلد في الافاق
المائلة هي للزمان في عدد العناصر للابدان وفي الافاق المستوي تحكي
الأمزجة التان هذا مع ما لها من جد وهزل . ورخاوة وأزل . وغضاضة
ونضج وبضاضة وغنج فانما هي راحد ارواح وساحة افراح وسكر وسكر ومزهر
وسمر ذلك تقدير العزيز العليم الحكيم القادر العظيم الذي اعطى كل
شيء خلقه وافاض على المختاق رزقه وحقه فلدا استاثر كل بجماله وبلغ
مبلغ حسنه وكاله فكل في نفسه فاضل ولا يقدم العاقل على ان يفاضل
واما اذا اضعفتها الى طباع الناس وما يترتب عليها من وحشة وايتاس
فلناس فيما يعشقون مذاهب ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك اللهم
الا ان تذوق من حزب هو حزبك وكل حزب بما لديهم فرحون فاذن
النظر في الصيف والشتاء اذا حقق وحق يرجع الا ثلاثة انحاء نظر في
انفسهما فهما كاملان ونظر في منفعتهما الخلقيه فهما نافعان ونظر في
منفعتهما بالاضافة الى الأمزجة فهما ضاران ونافعان فلدا توقف المصنف
والحكم وانصف كل منهما في القضية وما احتكم فله در المصنف حيث
وفق للعدل في مثل هذا الزمان وافاض عليهما من نائل فضله الامان

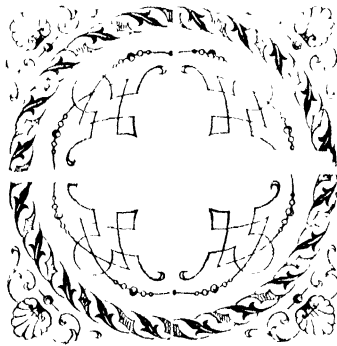
وهذا يدل على سلامة سليقته وغزارة مادته وإيم الله انه للعالم العلم الذي يبري السيوف اذا علم بالقلم ويصوغ من المداد اللثالي ويريك الشمس في جنح الليالي لا اقول احيا الادب ونشره وانما اقول خلقه فقدرد وصوره وشق سمعه وبصره اليس الادب كان صامتا حتى انطقه وكذرا حتى روقه وكان ذا متربة فصيره ذا مرتبة قووم رمية واعاد هشيحه وازاف اليه خلقا جديدا فقبل لاعدائه كونوا حجارة او حديدا فستعودون الى دار البوار وتخلدون من الحسد سيف النار وهذا الكتاب لا يتعاطاه سوا الاكياس ولا يتدارس غيره جميع الناس فهذا الكتاب للعلماء تذكره وللحذاق تبصره وللشعاع مناج واللبتدا معراج وفي المجالس نديم وللضيوف تكريم فانما هو مسامرة الصيف . ورحلة الشتاء . والصيف . وعجوبة الدهر وسلامة العصر كيف لامصنعه ناصر السنة والكتاب كما انه مستيد اركان الآداب اليس انه لما رى نقاعد كثير ممن يبجل عن نصره مذهب الامام ابي عبد الله احمد بن حنبل قام بنسبطه وثقوية ربطه والتنويه باسمه في كل نادي واتاعته في كل مصر ووادي فهو الذي اذا قرر انقادت له الشمس ومتى حار تطامنت لهيبته الحار والطورس

حبر امام العصر كهف بنيه * بحر ذخاره لكل نبيه
 بل عم من تهذيبه احسانه * فتراه يعطى النصح من يوذيه
 كالشمس بلحق كل شيء نورها * والدوح يعطي الفضل من يرميه
 روض العلوم وزهره اخلاقه * بحر ولكن كل عذب فيه
 ولقد تبعت الزمان واهله * وعجته مضغا بلا تمويه
 وصحبت فيه كل شهيم كامل * فرايت منه بعض ما يخفيه
 لكن ابو بكر صديق صادق * صاف السريرة ناصح لآخيه
 قد قام الاسلام قومة ناصح * واهال در الفضل بين ذويه

هذا اذا ركب اليراع بنانه * جرت السوانق حلقه تبغيه
 واذا تكلم حاطبا ملك الورى * حتى عداه تقوم بالتنويه
 ادب ودين في متانة رايه * ومكاهه وظرافة في فيد
 ما فيه عيب غير ان زمانه * زمن نعري عن حلي التزهيه
 لكن ابو بكر معين كماله * يصحونه زمني من التويه
 لا زال مصطلعا بكل مصادره * في ضل عز مانع الترفيه
 هذا التقريب لاولاد محمد طيب بن

المرحوم محمد صالح كاتب

بكي



كتاب سلوة الحريف * بمناظرة الربيع والخريف
 لفريد الزمان الشيخ الاجل قوام الادب ابي
 عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مقسم القسم * وبارى النسم * ومدبج النعم * ومزيل النقم
 حمداً يوازى بواطن نعمه * ويجازى ظواهر كرمه * وان كان كرمه
 لا يوازى * ونعمه لا تجازى * باقصى المحامد * وابعده جهيد الجاهد *
 وصلى الله على رسوله محمد وعلى الطاهرين من امرته . والطيبين من
 عترته *

خرجت يوماً وأنا في خدمة قوام الملك ونظام الدين ابي يعلى احمد
 ابن طاهر اظال الله في المعالي لتهديب المعاني بقاءه * وحرس في اقتفاء
 المكارم عن المكاره فناءه * وحاط على الافاضل بانداد الفواضل نعماءه
 وعطف على العلماء بحفظ ايامه وزمانه * وجمل الدنيا بعزة تمكنه فيها
 ورفعته مكانه * متنزها ومتفرجا من الحفلة بالوحدة متسلية * ومتشفا ببرد
 النسيم عن حرقة كنت بها متصليا * مترنما بلواعجي اطنىء لظى صدرى
 لها بندى دموع سجم . على انى احب المكان القفر من اجل اننى به اتغنى
 باسمها غير معجم * فاطلعت بي عيني لتتخلص مما بها على عين تموج بقاء
 سلسال زلال كانت انكدرت من سلاسل فى زلازل واذا قريب منه
 روضة دعتنى واشربت بي على عين اخرى وهي تنفجر من محاجر الاحجار

هذا الانفجار كأنها سيف الصبح سل من غمد الظلام يتهدد الشهب بورود
النهار * أو كأنها التضاض ينساب على الرضراض في الانهار * فقعدت
عليه وحدى بل بوجودى خاليا * وبالنظر فيه ساليا * أنا مل منه مكانا
خاليا * واتنفس نفسا عاليا * وامنى نفسي بلعل وعسى * لانه اذا امتلات
نفس الكريم تنفسا * فلحقتنى رفقة من اهل الادب * خرجوا للطرب *
او لبعض الادب * وفيهم شاب كان جملة الجمال منه خلقت . وتفاريقها
عنه سرقت * وعلى جميع الخلائق فرقت * يتصرف بشائله في القلوب *
تصرف الهواء بالشمال والجنوب . له قد نخل في حشى النحل دقة وثغر
حوس طيب الجنى

وعينان قال الله كوننا مكاننا * فعولان بالالباب ما يفعل النمر
وطرة كالفسق * على غرة الفلق . واصداغ ترقص على النار من
وجنته * وتسلم عليها وتحرق العشاق دون الوصول الى كوثر فيه وجنته *
فياله من حسن شعر يغبر من وجه المسك لونا * ورائحة وعزاً وصونا * على
وجه ينجل البدر ويرده الى محله من الحاق * ويشور الشمس ويردها في
في المغرب دون الاشراق * فلكنا حسنه واحسانه * وسبانا وجهه
ولسانه * ولحق بي بعض من يخدمنى فاستدعينا شي من البوارد * على
ذلك الماء البارد * الذى يتلأ لا كالآي من موارد كالمبارد *
وتجعه ايدى الصبا وبلفه كالهواء وينقيه من كل اذى وهباء *
ويتخلل تلك الرياض غدير كالمراة المجلوة يطلع فيها السماء بنجومها *
وكادت تخوض فيه زهرها بل غرقت بينها برسومها وهجومها * وتجمشها
عيون السحاب بسجومها * وقد اخضر شاربها كالزبرجد الانضر * وافترت
عن ثغر حصائها كالدرا الازهر * وكان وجه الارض بغايظ السماء
بغديرها ويراعها بزرقته وصفائه * وبزهر حصائه * كما تباربها باخضرار
نباتها وكما ان السماء تجاري الارض باغبرار سحابها المتقطر * كذلك

تباري السماء - باخضرار نباتها المتفطر * وكما ان الارض تشاكل السماء
بازهارها وانوارها * كذلك السماء تماثلها بازهارها وانوارها * وكذلك
الارض

يضاحك الشمس منها كوكب شرق * مؤزر عميم النبات مكبيل
والسداء نقول ان لي احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لله
ساجدين والارض تقراً والنجم والتجر يسعدان مينا نحن في مفاخرتهما
عبدا * وان لم تكن نظراً . اذ مطلع علينا شبح متر من نياح الديباج
والخز * معرق في كدى الحرير محتلة بالقر * مديد القناه قصير الخطى .
يقومه الفرح والمرح كالسهم يمتضى ويقوده السكر او الكبر فيمتطى . فحين
قرب منا ملا الارواح خفة روح وخرافا * والانفاس ذكاء وشرا وعرا *
والقلوب ذكاء وبسرا وعرفا * والعيون جمالا ومزاجا ومبهجة . والمسامع
بيانا ومضاحة ولهجة فقمنا واستقبلناه من ضرا . ايده * وخرابا حواليه *
بقاوب ضيبتها حافده . ونوس على يمينه راقده * وبنانا وسرنا * وحننا
ورفنا * وخص كلاً منا بعرفه واسانه . ومهيج حماننا بليلح لسنه ومضج
لسانه . واقبلنا عليه ونركنا الشاب الذي تمنكنا حسسه واصباننا . واقنننا
ظرفه وسباننا . وندا للشيخ بيا . وابيه . والذكورة فيه موقظة للالباب
ومنيه . ومجالسته موجهة عن التمول ومنيه . وله شعر ايض مشرق
يحمل بياض البازي . ولون احمر باصع يحس حمرة الياقوت البهرمانى
وعينه تذكر ان حسن عيون النرجس الريان . وحاجباه بصراننا
هلال الفطر سرورا وجبور . او هلال رمضان . الامر بالبر والايمان
واذا له تغريفحك من ندى الاخوان . ولونه الدرى يهزا بالمرجان
وانفه يشمخ تيبها على الفتيان . ومحاسنه تضى ببياض النعمه .
وتزهر بنور النعمه . وتلوح بطيب النعمه . فجمعت النعم انواعا

والوانا . واستكملت الطيبات خسروبا وافنانا . وله صدر فسيح الارحاء .
يتسع لواردية الحوف والرجاء . فأقبل علينا بالوقار والسكينة .
والبلانة المكيهه . وقال الآن اذ سكنتم اليّ وتمكنتم . فقيم كنتم . فقلنا
له اعجبنا هذا الماء الصافي عن انكدر . وهذا المكان الخالي عن القتر .
فقال الشيخ هكذا يكون الخريف يصفو ماؤه . وتصفو نعامؤه . ويرق
هواؤه . وتخف ارواحه . وترتاح بنعيهه المقيم قلوبه وارواحه . فانتدب
الفتى الطرى . الشاب الاريجي . الذي تقدم ذكره وقال في غضب وجرد
يا خرف ابا الخريف تدل علينا وهو زمان امراضه مزمنه . وفصل حملته
موهية موهنه . وحين طبعه حين وحى . ومزاجه موحش وبنى . ووجهه
عابس . وتراه يابس . وهواؤه كالح . وماؤه بطبخ حرارة الصيف اياه
زعاق مالح . ولم نسيه فصل الربيع وفضله رسمياه ونشره . وطلاقته
وبشره . اذا قبل يتهاى ويتبسم . ويكاد من الحسن يتكلم . . طرى
الاحساء والحواشي . ندي العوادى والغواشي . لذيد الابكار سيجح
الهاجر طيب الاصائل . فقال الشيخ بركون . وتودة وسكون . ما اسمك
ايها الظريف الطلق الوجه واللسان واليد . الماضي المضيء كالسيف في
الحد . والجد والحد . اللطيف في المنظر والخبر والمطلع والمقطع فقال
اسمي الربيع بن الطيب فما اسمك ايها الشيخ الكريم في اخلاقه واحلامه
السيد الغافر بعفوه خطأ غلامه . المتجاوز عن ذل كلامه . فانا كما قال
السلامي

تبسطنا على الآثار لما * راينا العفون من ثمر الذنوب
ونحن اولاك نطلب من بعيد * لعزتنا وندرك من قريب

فقال يا حبذا وجهك المبارك . قد جل باريه وتبارك . اهلا بك
وبقومك . ومرحبا بوقتك ويومك . اسمي الخريف بن المنعم فما ضجرك

مني وانا عن نفسي ناضح . بيهاني الالأمح الواضح . فقال الربيع وانا كذلك
فاعذرتني وقد عرفت طبعي في تلونه وان كان مقبولا وحالي
في تفننه وان كان لذيذا معسورا فقال الخريف انت يا فتى معذور .
بل مشكور .

فروحك الريح تخفي كل منتنة * وشارك النور تمحو كل الظلم
وانت من في وجهه شافع يمحو اساءته وفي حسنه دافع فهدا يزين
كل مليمح . وذاك بدفن كل قبيح .

وقبيح الصديق غير قبيح * ومليمح العدو غير مليمح
فلم تفضل الربيع على الخريف . ياربيع الظريف . وقد عرف
العالمون باسرههم واعترف العالمون ان الربيع في طبعه كما وصفت متلون
قليل الوفاء . كثير الاخلاق في الجفاء . لا يوقف على طبائعه وهي
كابى براقش ولا يوثق بسجاياه وهي كابى قلون بينا ترى الشمس سافرة
نقاها . وقد ارسلت سحابها . واوحلت طرق المارين وبلت ثيابها . وبينما
ترى اوجه السماء في بكائه وانهماله واستهلاله اذ عاد الى ضحكه وتملله
واستغرابه وبينما تراها وهي تقرب سحبا وتبعد . وتصوب رياحها وتصدع .
وتبرق بتسحبها وترعد . اذا بدا لها واستبدلت بتلك الحالة ابدالها .
ليس كالخريف ساكن الجاش وقور الطباع ثابت الشيم مطمئن
الشائل . يوقظ الناس للاستعداد للشتاء بالجنايب طورا وطورا بهبوب
الشائل . وبينهم حينما يبرده الخفيف الرفيق القارص بانامله وتارة
بغمه اللطيف الرفيق اللاحظ بنواظره وهو في هذه الاحوال كلها
يميرهم بريعه الوافي الوافر فهم يمتارون منه ويحتكرون . ويتوسعون
في ما ينالون منه ويدخرون . ويقتنون فواكهم ويعصرون
ويحتظرون .

✽ قال الربيع ✽

اما ما ذكرت من تلون طباع الربيع . وانه كل ساعة ياتي بخلق بديع .
وطبع غريب وكيف ينكر التلون من طباع مختلفة . وامزجة مركبة من
عناصر غير مؤتلفه . وانما فعل ذلك لكي يجي كل عنصر بمزاجه . ويهز
كل طبع بما يقتضيه من حاله لا فتقاره اليه بالمناسبة واحتياجه . ولكي
توتاح الامزجة بالتجدد بعد الاخلاق وتنتعش العناصر عن البلى فهو
يندرك بفعله اللطيف . ما افسد الخريف . وذلك اللون حبيب الى
النفوس لانه ركب من طبائعها ولذلك شبه الشاعر معشوقه به في
فعله فقال

اما ترى اليوم ما احلى شمائله * صحو وغيم وابراق وارعاد
كانه انت يا من لست اذكره * وصل وهجر وتقريب وابعاد
وبعد فالنفس تمل والقلب يسأم الدائم والحض اروح والجديد الذئ .
واما ما ذكرت من سكون الخريف ووقاره فانما هو لبرده وبسه والحي
تكون حياته بالحرارة مع الرطوبة والميت يكون موته من البرودة مع
اليبوسة فالربيع يجي والخريف يبلى واما ما ذكرت انه يميز الناس المطاعم
ويفيض عليهم المناعم . فان ذلك كله مما نتجته ايدي الربيع وقدمه
تدبيره المصيب واورثه عمله النافع وولده كسبه المفيد وعلى الايام يظهر عمل
المدير المصلح . وبعد الاوقات يتبين تدبير العامل المفلح .



✽ قال الخريف ✽

اما ما ذكرت من الخريف وان طبعه بارد يابس كطبع الميت وان
طبع الربيع حار رطب وهو طبع الحي فقد جهلت او نسيت واخطأت او
خطيت فان الحرارة اوحى قتلا واعجل اهلاكا من البرودة والدليل عليه

حال المبرسمين بالقياس الى حال المفلوجين والكيفية الباردة اليابسة هي للارض التي منها خلقنا واليها المصير . وعليها قرارنا ومنها غذاونا وهي الملبأ والنصير . وهي طبع السوداء التي هي علة الآفات والثبات والحلم والوقار واصحابها من ذوي العلوم الشريفة . والصناعات اللطيفة . هذا ان سلمنا ان طبع الخريف بارد يابس واما ما قلت ان ما يبرهم الخريف فمن صنع الربيع فكيف يكون ذلك والخريف وقت البذر والشتاء خليفته في تربته ولذلك قال الشاعر

ان الشتاء على كلوحة وجهه * لهو المفيد طلاقة المصطاف

فما للربيع الا اخراجها مع الحشرات واظهارها مع الهوام فيبلى الراء حسنا متفوعاً بسوء بلا . ويقترف فعلا واحداً مزوجاً بالف اذى . ومع ذلك فهو الذي يهيج الاخلاط الفاسدة في ابدان الناس ويشير الكيموسات الرديئة في اجسادهم وينذب الكيفيات الخبيثة عن اجوافهم . وهي جامدة ويحلل الحرارة الغريزية عن احشائهم . فتذهب بها في الهواء المشاكل لطبعها ويترك اعماق اجوافهم هامة خامدة ويولد في بشائرهم وظواهرهم القروح والجرب والحكمة والحصبة والحميات الدموية والاعلال الحارة والخريف يطفىء هذه الامراض الدموية ويميت الحيوانات المعفنة ويفنيها او يجعلها كالفانية من السكون كالخشرات والهوام وهو الذي يعدل الطباع بميزانه ويسوي الامزجة في ابانه . وينعم الناس وسائر الحيوان بانواع نعيمه والوانه . وينصف النهار والليل عدلين مؤتلفين . ويجعل الغني والفقير بمرتته مثلين غير مختلفين . فيبوتهم مملوءة حبوباً . وحبابهم مشحونة مشروباً . ونهارهم مشغول باقتناء المير والذخائر التي اوسعها عليهم الخريف لشتائها . وحضهم كل بكرة على اقتنائها . وليلهم ملهى بالشراب الطيب والفواكه اللذيذة والرياحين الارجح والخيرات البهيجه .

✽ قال الربيع ✽

اما ما ذكرت من الربيع وان حره يودى او يودى بالانسان وسائر
الحيوان ووصفت العلال الحارة كالحميات الدموية مثل السرسام ونحوها من
شدة الاسقام فقد اوهمت . او وهمت . وتغافت . واغفلت . اذ
الربيع في طبعه معتدل المزاج ولذلك قال جالينوس من لم يهزه الربيع فهو
فاسد المزاج . محتاج الى العلاج . وانما يقع اكثر هذه الامراض في
صميم القيظ وحميم الصيف الحار . وانما تاخذ الجار بذنب الجار . والربيع
باعتماد طبعه والتئام مزاجه وانتظام احواله وائتلاف اخلاقه وافعاله
يقوى كل طبع ويبعث كل مزاج وينبه من فسد بعض الاخلاط من
مزاجه . ليتشمر في علاجه . ويحيى كل موات بعد ضياعه ومفتقده .
ويضعف كل بال عن مرقدته . ويذكر بالحشر . ويدل على صحة النور .
واما هذه الحشرات والهوام فان الله تعالى خلقها ولم يخلقها من فائدة تعود
بصلاح الخليقة ولم يخلق شيئاً عبثاً بل كلها يختص بمنفعة للبرية وان
سمومها اذا اخذت منها واخرجت تدخل في الادوية المجربة ويستعملها
الاطباء في الادواء المؤذية . ويستشفى بها في الامراض المردية . ومع ذلك
فانها اعنى الهوام والحشرات تجتذب من الارض وسائر الاركان السموم
التي تخالطها مما يشا كلها . وتستلب منها ما تغتدى به مما يلائمها ويوافقها .
فتبقى الاركان للنبات الذي يحتاج اليه الحيوان صافية عن كل سائبة
وقذى . ويحلو النبات والاعذية نقيّة من كل عائبة واذى . واما ما قلت
في الخريف وان يوسع على الناس وجميع الحيوان ما آكلها واعذيتها .
ويفيض عليها فواكها ورياحينها وانبتتها . فهذا بان يكون من معائب
الخريف اولى من كان يكون من مناقبه وهو احد الاسباب التي يكثر بها
الاسقام المزمنة في الخريف فانه يستكثر الناس من آكلها فتستوبله طبائعهم

فيجلب المرض . او الحرض او السبب له والعرض . ولا يحتمله مزاجه
الذي اقله حر الصيف وانحله ضم القيقظ واستصفته وقدة الهواء .
كما يستصفي التنور المسجور رطوبة الشواء . وحلل حرارته الغريزية .
وفش مخونه الطبيعية . حر الفصل فلا يطبق ما يأكله بالخريف ولا
يحمل ما يناله فيسنوخمه ويسنوبله ويولد عليه الداهية الصاء من
الامراض والمظلمة العمياء من الاوجاع ولذلك جاء في الخبر ان مما ينبت
الربيع ما يقبل حبطا او يلم . والربيع بحمد الله مقل من الفواكه المضرة
والانبذة النيئة والاطعمة الوبيلة الوبيئة . والاغذية الوحيدة الرديئة .
ونداوه للناس من الحبز الخنطى النقي واللحم من الرضيع والشراب العنبي
العنيق المرى وتنقلهم بالفواكه التي قلما تعفن بمنزلة الرمان والسفرجل
والذفاح ونحوها مما يبقى في الشتاء بقوته ومشمومهم من الورد الرائح الالأمح .
والنور العبق الروائح . والسافرم الذي ياخذ بطبع الربيع في اوانه فيكون
حارا رطبا لا كما يكون في الخريف باردا يابسا مولدا الزكام . كقطر الزكام
ومورثا الصداع . يشق الراس بانصداع . وها من خصائص الخريف اعنى الزكام
والصداع ومسموعه من اغاني البلابل والقاري ونحوها التي يهزها الربيع
برواحه التي تعبر عن العبير والعود والقارى لان الربيع كما قال
الزعفراني .

وفصل فيه للروض احتمال * لان جميع ما لبست حرير
والاغصان من طرب ثن * اذا جعلت تغنيها الطيور

❖ قال الخريف ❖

يا فنى ما اعذب لسانك . واعجب شانك . واملحك في فصاحتك .
وافظنك مع ملاحظتك . حيث تعجزنا ببيانك الشهي . كما تسحرنا بلقائك
البيهي . فتاتي الى ما اجمع العالمون على استهجاناه فحسبه . وما اطبق الحكماء

على استحقاقه فتهجنه فانه اتفق العاقل والجاهل والبار والفاجر على بغض
الهوام المردية . وقلى الحشرات المؤذية . وكراهتها واستقذارها . واستنجاسها
واستنكارها . لما تعافه الطباع في احساسها بالابتداء . ولا تخافه المعارف
من مضارها في الانتهاء . وانت تصفها بكثرة منافع ومصالح وتكابر العقول
السليمة والعادات المستقيمة . بلسانك الحول القلب وظرفك المخلط المذيل
وبيانك المعن المنف وما اتفق الناس على السعي فيه والحركة له والبقاء به
والحرص عليه والحنين اليه . ومنافسة بعضهم بعضا لاجله وبالجملة ما به
صلاح العاجل والآجل وفيه خيرات المعاش والمعاد حيث تعيبه وتذيته .
وتهضم رايبك بذلك ونظيمه . وهو نعمة الله التي جعلها مادة الحياة وصورة
البقاء لاجل من يستكثر منه فلا يستترده . وبسبب من يستعز فيه فلا يهينته
وتروى له الخبر الوارد في الربيع وتحمله عن حالته . ونقله عن قلبه
وهيئته فانه قال ان مما ينبت الربيع ما يقلل حبطا او يلم وانما قاله
للمواشى دون الناس فان الربيع لا ينبت شيئا ينالونه فيحبطون منه فوج
لسانك انه حسام . الد الخصام . ملتهم المحامد قاذف المدام . اما الكلام
في الحشرات والهوان فان استقرار الناس بها معروف وانفاسهم بسببها
منكر وغوائلها جلية . وعاندها خفيه . واما ذكرت ان بسدومها يسندفع
بعض الاخلاط الفاسدة فلعل تلك الاخلاط منها تولدت في النبات
وبها اخلطت بالامزاج والامشاج وبروائحها امتزجت بالحيوان فهذا ما
بطن من حالها وما كمن من افعالها فاما الظاهر فان الافاعي والحيات .
والعقائب والجرارات . ونحوها فهي قاتلة معطبة او موزية مؤلمة ولا تحلو
من اتلاف . ولا تعرى من ادناف . واما النعم الطيبات التي جعلها الله
رزق الخلق وانبتها في الحرفب فهي مبعاة مرتضاة محبوبة الى الخلق
مقضية وهي تستهيبها الانفس وتلذ الاعين وبها وعد المنقرون في دار البقاء .
واياها منى الابرار الى مشابه الثواب والجزاء . ولكنك اعطيت مبدئا

ما استرددت منتهياً . واصلت قياساً . تبنى عليه ثم هدمت منه اساساً .
 فقلت بآخره ينال الانسان في الربيع من الما كل والمشارب والمشام
 والمسامع كيت وكيت . وحكيت من طريق التنعم ما حكيت . وما افخرت
 الا بما اقناه الخريف واعطاه . ومهد للخلق ووطاه . وان لم يمكن به
 الاستمتاع الى وقت الربيع وقد بقي منه الكثير الى طلوع الخريف وقلما
 يستمتع به المرتبِع وذلك لانه مملوء بسخونة الهواء . الذي يمنع من استيفاء
 الغذاء . ولا يبنأه ان نشط في الامتلاء . وهو مملؤ باخلاطه المالح . وكيو سانه
 المالح . ويعنيه من امرها ما يشبهه عن تمتعه وبضجره بعمره . فنبلاً عن تنقذ
 عيشه بالتنعم وتعهد امره . اللهم الا الاغنياء الذين يقل عددهم . وتكثر
 عددهم . ولم ايضاً حاشية وغاشيه . وعليهم غادية وعاشيه . فالحاجة عامة
 والغنية والقنية في الربيع معدومتان ثم ان وجد واحد فهو كمعدوم لان
 ايامه مشغلة مزحمة اولها من الحوائج البشرية . وهي مشغلة ومحممة
 اوسطها بالحرارة الشمسية . وهي مبغضة ومقدرة آخرها من الحشرات
 الارضية . والقاذورات الهوائية . والعفونات الربيعية . ولبله غفوة كسوة
 طائر . او قبة عجلان او خلسة زائر . واما المخترف فنهاره بقدر ما يكتسب
 فيه ويقترف . ويعمل به ويحترف . ويقضى المهمات . ويكتشف الملمات .
 ولبله للطرب . وقضاء الارب . والتنعم والعجب كل العجب ممن يستوخم
 فيه ما يناله من الطعام . وهو يقوده باشهى الادم . ويسوقه باهنا المدام
 وذكر جالينوس ان الاوباء . التي تقع من العفونة تعم اثناء الناس اهلاكا
 وافناء . الامدني الحرفانهم يتخلصون لان فضول الخمر لا تتعفن .
 فالخريف يمنع بالطيبات المطاوبه . والملاذ المحبوه . ويصلح ما افسده
 القميط بمزاجه الحار اليابس بترطيب الشراب المرى . ويسوى ما عوجه
 الصيف من النحول والذبول بتغذية الطعام الهني . فهذا صلاح الخريف
 وفساد الربيع

❀ قال الربيع ❀

لله انت من شيخ بهر بل بهت العقول . في ما يقول . ويعمي بل
 يعمه الذكي الفطن . بما يظهر مما يريد او يبطن . الا ان كلامه لا يعدو
 مناع المطاعم او مطارب المشارب والشيخ مثلك يجب ان يقنع من الدنيا
 بالذات التي تروح الروح وتنفس النفس ونقر العيون وتسرح القلوب
 وتطرب الافهام الذكيه . وتطري الاوهام الضميه . من مباح الربيع
 وملاذه وطيباته ومساره فكما سعد الناظر فيه ناظره راع وجبا السماء
 بهجة البيضاء البج . وعينا سوداء من ظلام الغمام ذات حدق ادعج .
 وهوا باعتدال قوامه وحسن نظاه جد سجع . والشمس تسفر حيناً
 وحيناً تنقد السماء تخلع طوراً وطوراً تسحب والرعد يقهقه من برق
 يتسم . ونبل الوبل يرتقي عن قوس في معارج الهواء تثلون وترسم
 والسحاب كخليج من الفتيان يسكب دمه وقد هزه طرب الراح . والسم
 استوان والجو صاح . وكما صوب ناظره الى الارض سعد بصره بوشي
 ديباج حكته يد الربيع ووشته . ونمئنه انامله بضرور من الرق ونقسته .
 وطرزته من الورد باحر دغا للياقوت واصفر غيظاً للعين . وابيض نجلا
 للدر والحين . وصبغته نعي الورد آونة على لونين ليتسلى به العاشق
 والمعشوق . ويتفاعل باجتماعهما الشائق والمشوق . ومنعت منه طوراً
 باللين الناعم حاسة اللمس ونارة بالرائحة الفاتحة حاسة الشم ومرة باللون
 الرائق الرائع حاسة البصر ثم جلت كل وقت عروسا من الرياض في الوان
 من الازهار . وانواع من الانوار . وقد غسلتها ايدي الغواصي ومستطتها
 لمقابض الروائح . وعطرت بها من النسيم المسكي باطيب الروائح . ففي تختال
 وتبرج . وتنعطر وتثارج . وترفل من حللها وحليها بين مرمر ومنقط .
 وسهم ومخطط . ومسير وماون . وموجه ومعين . ومقرط ومششف ومتوج

ومعصب ومكمل ومزبرج . وممسك ومعنبر . ومضندل ومكفر . ومدرهم
ومدزر . صبغة الله ومن احسن من الله صبغة وصيغته . ومن يأت به بمثله
صبغة لا صنعته . وهل له شريك في صنعته

وكأن السماء تجلوعروسا * وكأننا من قطره في نثار
وكأن الرياض تنظر الفا * وكأننا لحسناها في نظار

والربيع النموذج الجنان وترايه المسك الاصهب . والعنبر الاشهب .
والكافور الازهر . وهو اؤه لا حر ولا قر . وماؤه كوتر . وانهار من ماء
غير آسن وانهار من غسل مصفى وانهار من خمر لذة للتاربين كذلك ماء
الربيع خلوقى في اللون عسلي بالذوق خمري بالصفاء والاستمراء * واما
ما ذكرت من اعتدال زمان الخريف المسوى بالميزان فهذا الاعتدال
بالحقيقة موجود في الربيع فانه معتدل الليل والنهار والاصائل والهواجر
وذلك الاعتدال الذي هو الاوقات موجود ايضا في الكيفيات لاستوائها
في الوزن من الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وهو مرضى * والاعتدال
الذى للخريف مسخوط الكيفيات لخروجها عن الاعتدال الى البرودة
واليبوسة فالربيع من الاركان بمنزلة الهواء في اعتداله ولطافته . ومن
احوال العمر بمنزلة الصبي في طراوته وطلاوته ومن الاخلاط بمنزلة الدم
في عذوبته وحلاوته . لانه سباب الزمان . وربيعان الاكوان . وعنوان
العام . وعنفوان الايام . وبأكورة العمر . وبكر الدهر . وانف الكاس .
ورأس النفس بل هو عين كل رأس . ومطلع القصيده . واول الجريده
وبالجملة الربيع لب الزمان والخريف قشره والربيع نقيه والخريف عظمه
والربيع صفوه والخريف كدره والربيع سلافه والخريف عكره والربيع نديه
والخريف درديه والربيع انفه والخريف ذنبه . ومن يسوى بانف الناقه
الذنبا . والربيع صدره والخريف عجزه وليست الاعجاز مثل الصدر

✽ قال الخريف ✽

تبين اي الفصلين أكثر مناعم . واوفر مكارم . واوفى اغناء واقناء
واقنى اعطاء وايلاء . واصفى ابتداء وانتهاء . وكل منا يمدح صاحبه ومن
يمدح العروس غير اهلها ويذم قرنة ولا تعدم الحسناء ذاما فعلينا ان نبين
وجه التفضيل بخصاص كل منهما وانت تدعي ان الربيع ايبن صفاء
واحسن اعتدالا واولى الثأما . وابلغ انعاما . اما الاعتدال بالذات فغير
موجود الاشياء الكائنة الفاسدة لانها لو اعتدلت وتكافأت قواها .
وتساوت اجزاؤها . لامنعت عن الفساد . لان كل واحد منهما منع
صاحبه عن القهر والعناد . واما الاعتدال بالاضافة فانه يكون فالتبحث عن
الفصلين ايها ايبن اعتدالا فقد علمنا ان الربيع اوله عند مبلغ الشمس
رأس الحمل والحمل تاتي به الحرارة واليبوسة والفضله برودة ورطوبة ورتها
عن الحوت الذي استدره وبرودة ويبوسة يستفيدها من الثور للذئ
يستقبله والميزان في نفسه تاتي به الحرارة والرطوبة والفضلة برودة ويبوسة
مستفاد من السنبلة التي استدرها وبرودة ورطوبة من العقرب التي يستقبلها
فاذا قوبل كل واحد منهما بصاحبه ساوى الحوت والعقرب والثور السنبلة
في كفياتها وبقي الحمل في نفسه حارا يابساً لانه بيت المريخ وشرف الشمس
وناهيك بما لها من الحرارة واليبوسة والميزان بيت الزهرة وهي احد
السعدين فبقي للميزان الاعتدال ولذلك سمي به لان فصل الخريف استفاد
من الصيف حرارة ويبوسة ويستقبل من الشتاء رطوبة ويبوسة وهو في
نفسه حار رطب * واما تشبيهك اياه بالشيخ وتشبيهه الربيع بالصبي ثم
تفضيل الصبي على الشيخ فهو امر غريب ومعنى بدع وهب ان الخريف في
طبع الشيخ والربيع في طبع الصبي في الدنيا احد يفضل الصبي على الشيخ
فان للصبي رطوبة موجبة مضطربة تمنعه عن جودة ادراك المحسوسات

فضلاً عن ادراك المعقولات والشيخ ذهب عنه رطوبة الصبي وانفصلت
منه حرارة الشبيبة المفرطة واعتدلت كفياته وتكافأت قواه وتساوت
احوال مزاجه فلذلك يكون ادرك وادرى . وابلغ والى . والطف والطفى
واذكروا ذلك . وشبهت طبع الربيع بطبع الهواء فلعمرى ان الميزان اليق
بهذا التمثيل من الحمل لو انصفت فان المتجيمين والاطباء اطبقوا على قولهم
ان الميزان هو أي له طبعه وكذلك الدم * واما ما ذكرت ان الربيع
استبد بالورد والنور والزهر واختص بالشراب الصافي والماء اخلو في والهواء
الريقق والسما المرققة المرعدة فقد علمنا ذلك * اما الورد فقد يكون ايضاً
في ايام الخريف وخصوصاً النسترن وهو اطيب الوانه وكذلك النور والزهر
وكلها في الخريف اطيب منها في الربيع لان رائحتها محصورة فيها غير
منبعثة عنها وان كان الربيع يزهي بالورد السريع الورد العاجل
الصدور الذي لا يتشمه الشام صالحا واذا هو ذابل ولا يشمه الرامس
وافيا واذا هو ذاومى ولهذا يعبر العشاق معشوقيم بالانتقال
عن العهد . والزوال عن الود . ويشبهونهم بالورد ويتشبهون بالاس
واما منعيم ان يتشبهوا بالترجس مع بقائه . وحسن عيده
ووفائه . لانه يكون تزكية لانفسهم وتفضيلا لندواتهم على
معشوقيم بالحسن الرائع البهيج . والطيب الريح الارج . والطرف الفاتر
الغنج . والقدر المستوى المنعرج . هذا مع بقائه ووفائه وامتاعه بنفسه
جملة امتياعه واتباعه والخريف مختص به وبالزعفران ايضاً وهو من الحسن
والطيب . والتفريح والتطريب . والنفع في ادوية كثيرة ومعاجين حمة
وزرائر عزيزة ما لا خفاء به وله مدخل في عداد العطر والطبخ والادوية
واصلاح الاغذية وتطيب الماء كل ويبلغ في التفريح مبلغاً لا يدركه شيء
الا الخمر وقد يلقي فيها ويسقى الشارب تعمداً فيصير به ضاحكا آتياً
بمجاوب . من المطارب والملاعب . * واما الشراب الصافي فقد يكون

ايضاً في الخريف اصفى واعنق منه في الربيع ويفضل الخريف بالحديث الطارى وما للربيع فمن الخريف استفاد وكل خير له من عنده والشرب من اوفق الاشياء بالخريف وهو اصلح منه في سائر الفصول لان الشراب فعلة التسخين والترطيب لان هذا الفصل مكتس ومكتسب من الصيف ببوسة ومن الشتاء برودة فيكسر سورتهما به ويفل غوائلهما بسببه وهو ضار في الربيع لان فصله اجتلاب رطوبة من الشتاء واكتسب حرارة من الصيف فلا يقوى على حرارتي الشراب والفصل ورطوبتهما فلا تحتملها طباعه ولا يستقل بهما . زاجه وهو ضار ايضاً في الصيف لافراط الحرارة وفي الشتاء ايضاً لكثرة رطوبته فاوفق الفصول للشراب الخريف وتعديل المزاج قلما يتأتى الا لمن يتعاطى الشرب هذا مع ما فيه من الطرب والسرور والفرح واجمع الاطباء انهم ما وجدوا شيئاً يقوم مقامه في تعديل المزاج وتسوية القوى بلا مضرة واجتلاب الفرح والمسرة اذا اخذ على وجهه منه ولذلك قال فيه القائل

هما ما هما لم يبق شيء سواهما * حديث صدق او عتيق رحيق
وهونت حلوا الحاديات ومرها * بحلو حديث او تبر عتيق
واما الماء الخلوقي الذي اعتدت به فما ادناه من اعتداد . واقصاه
من سداد . واي خير في ماء اختلط بالطين . وامتزج بالتراب والصلصال
المهين . فلا يمكن الشارب العطشان ان يقربه . فضلاً عن ان يشربه .
واما البرق والرعد فاي فائدة في بارقه . ربما عادت شرصاعقه . وحرقت
اشخاص كثيرة ولا تغلو من احراق قط اذا كثر حتى انه يذهب كثيراً
من الاثمار مثل الكمثرى وغيره * واما الرعد فانه في قلة المنفعة كصوت
الطبل بل دونه فان في هذا انذار بامر حادث وسلطان طارىء والرعد
يهدم كثيراً من الابنية البرية ويفزع جمماً غفيراً من البرية ولهذا يقال

لمن يتهدد بياطل فلان يردد ويهرق كما قال الشاعر
 ابرق وارعد يا يزيد فما وعيدك لي بضائر

✽ قال الربيع ✽

ما احسن كلامك لو كنت تراعيه فلا تنقض في القابل ما تبنيه في
 الغابر زعمت ان الخريف تأثيره بالحرارة والرطوبة لان الميزان بتولاه وهو
 هوائي دموي ثم جئت الى ذكر الشراب وقلت هو موافق في الخريف لان
 طبع الخريف بارد يابس وطبع الشراب حار رطب ونسبت ما ذكره
 الحكماء في طبع الخريف وانه بارد يابس مبرح . مكرب مترح . ولذلك
 كانت امراضه مزمنة واطباقيهم كافة ان طبع الربيع حار رطب مفرح .
 مطرب مروح . ولذلك صارت الدماء به في الاجساد منبثه . والحرارة
 الغريزية منبعثه . وادعيت ان الشرب في الخريف اوفق واطيب واغفلت
 ان الشراب حار رطب وكذلك الربيع فالملءمة بينهما اكثر . والموافقة
 لها به اوفر . والصحيح يتغذى بالمشاكل الموافقة والمريض يعالج بالضد
 وهبك لم تعلمه اما شهد لك الحس الصادق بطيب الشراب المورد على الورد
 او ما سمعت ما قال فيه القائلون . وما تقلب في افانينه الشعراء والمليون
 او ما بلغك ان احدهم يخلف ابنا له ألا يشرب فلما بلغ الى آخره قال
 او زمان الورد ايضاً وامتنع من اليمين . ووثق ان يخنث فيه او يمين . وما
 حكى ان حائكا في زمان المأمون كان يعمل عمامة وقته اجمع اکتع
 لا يستريح ليلا ولا نهارا . ولا يجزم سرا ولا جهارا . ولا يترك عمله في
 الجمعات والاعياد ولا يفتر عن شغله بالنوائب والمصائب فاذا جاء زمن
 الورد التي حفه وانشد شعرا واشتغل بالشرب اربعين يوماً ووصفت حاله
 للامون فاجرى عليه ما اغناه عن عمله . واجزأه عن حياكته وشغله .

ولو ذكرت كله لتعسر الخطب وطال الخطاب . وعرضت جبال المقال
وامتدت طناب الاطناب . وانما قلنا ذلك لان الشراب والربيع
يتزاوجان بالامتزاج . ويتحدان في الازدواج . فيقوى فعل الروح
لاتخاذها بالراح وهذه هي علة الخمر في اجتلاب الفرح والاريجية والهزة
التي تحدث للشارب وذلك لان الدم ينبوع الحياة ومطلع السرور بزيادة
الحرارة الغريزية ولهذا يكثر الفرح والضحك في الصبيان ولمن يغلب عليه
الدم وبهذا السبب بعينه يستولي الطرب على الناس في الربيع لانه فصل
معتدل والغالب عليه الحرارة والرطوبة وهما طبع الدم الذي هو ينبوع
الروح فقد تبين ان الربيع يزيد في الروح ويمد في الروح ولهذا المعنى اتفق
استتقاق الروح والراح والروح كلها من الريج معنى مصيبا واحسن ابن
الرومي حيث قال

والله لا ادري لاية علة * يدعونه للراح باسم الراح
أريجيه ام روحه تحت الحشا * ام لارتياح نديمه المرناح
ويسمى الدم ايضاً نفساً لهذا المعنى ولمشاكلة الربيع الدم الذي هو
مادة الروح وعنصر النفس يهيج الربيع الدم خاصة ويثير سائر الاخلاط
عامة وفي اتارتها فائدة خفيت عليك وهي لكي يتدارك بالمعالجة والمداواة
وشرب الادوية التي تجعل الاجساد منقاة من الفضول مصفاة مسواة
والربيع ينشر حتى الجماد وينبت حتى الاحجار . فضلا عن الحشائش
والاشجار . ويطلع الازهار والانوار . وينجم الاوراق والاثمار . ويظلل
السماء بالمطارف الغبر . ويفرش الارض بالمطارح الخضرة . ويمجّل الجبال
بالحلل الحمرة . ويعقد على الرؤوس اكلة من الاتجار المتشعبة ويحلل بها
نتارا من الانوار المونقة وينصب للطيور منابر تغني عليها وتذمر اطيبي
الاغاني والزمر . ويطيب للناس لذيذ العمر . فكانه يضمهم عرس واحد
ويجمعهم دعوة جفلى . ويقريهم مأدبة فوضى . او كان كلهم ملك

الارض باسرها وكان ازهارها وانوارها دراهم ولا ل منشورة عليهم ووردهم
وشقائقهم دنانير ويواقيت مبذولة لهم وكان نباتها زبرجد ومينا وفير ووزج
متوجة اياهم وكان امواها الخاقية صهباء عتيقة يسربونها فتطرب بها
قلوبهم وترتاح وتنزاح بها عنهم الكرب وتزول فهل يستوي هذا وقتف الخريف
وظلفه ويسه وقاره وغباره وكدره وتقيضه وعموسه . وتقطيعه وبوسه .
فعيون الناس فيه سائلة وعيون الارض جامدة ووجوه السماء مغبرة .
وخدود الخلق مغمرة . وظواهر الجبال ومفارقها من هول البرد مبيضة
وبواطن الورى وصدورها من كرب الحريف مسودة والشمال من الارواح
عاصفه وشمال البرية بالارواح عاصفه . فهذا حال الاغنياء منهم فكيف
ظنك بالفقراء . الدين ما لم غطاء ولا وطاء . واني مخيلتك في الغبراء
الذين ليس عندهم ثاغية ولا راغية وهذا كان عمر رصي الله عنه اذا
اظل الشتاء كتب الى كل ناحية جاء كم العدو الحاضر فاسعدوا له واذا
سفر الربيع نقابه واكتسى جلبابه ارتاحت لمقدمه القلوب وانفتت الغيوم
عمن لا يملك قيد سبد ولا لبد . ولا ياوى الى والد ولا ولد . واما
وصفك طبع الربيع بالاعتدال فالله كافيك وحسبك انك تقول شيئاً وتعلم
خلافه وتظهر معني وتضمير سواه وان يدري جميع الناس انك موه فيه .
ومزخرف في ما تخلصه منه وتستصفيه . او ما يخاف الكذب ان يذوب
والفصل المعتدل لا ترمز امراضه . ولا تدمن اوجاعه ولا تقتل اعراضه
وهذه قصيرة من طويلة

✽ قال الخريف ✽

حاصل كلامك ان الربيع ينبت ويورق . ويزهر ويرعد ويبرق .
وبق ان تنظر ما الشيء الذي يثمر ويجنى ويطعم . ويحصد ويقطف

وينعم بنعم . ويزرع ويبذر . ويربي ويوفز . وليس ذلك الا الخريف وتفضيل
الخريف على الربيع امر متفق عليه قد صنف فيه كتب سائرته . ودونت به
اشعار في ايدي المتأدبين دائره . * فمن ذلك ما كتب علي بن حمزة الى ابي
الحسن بن طبابا العلوي فقال * الخريف ثمرة الربيع كالشجرة التي تثمر ولولا
الثمر لم تكن في الشجر فائدة وفي الخريف تحصل اصناف ما يتمول وما يدخر
من اقوات الحلائق الممسكة ارواحها الى الخريف القابل وفيه يكون
الزعفران وله على جميع انوار الربيع فضل وله ورد يطلع ككصل السهم الناوكي
وقرن الخشف في لون الياقوت الازرق . والللازورد المونق . كالعيون
الشهل واعراف الطواويس المحجلة ويتفتح عن شعر كحيوط الذهب
والخطوط الحمر . في انلاف الحلل الخضمر . وكشر نار يابوح من حدائق
البنفسج كالسن الحيات المنضضة ويطلع ورد الزعفران البري في السنة
مرتين ربيعاً وخريفاً غير ان البري لا يكون له نور الزعفران المستعمل
وحشيش الزعفران يشبه اذنان الخيل وبصبر على البرد فيبقى اخضر ناضرا
والدرع مصفرة وله اصول كعقد من العاج وفلك مغازل الابريسم ويبقى
تحت الارض طويلا فلا يتغير متدثراً بجمل كصوف الحزوليف جوز
الهند * وفي الخريف يجد النخل . وجمع اعسال النخل . ونقطف الاعناب
التي فيها المنافع وفيه اجتناء الاقطان التي منها لباس الناس وزينتهم
احياء . وسرهم بعد الفناء . وفيه يقطف اللوز والجوز والعناب والنبق
وغير ذلك مما يع نفعه وفيه تتالغ ذوات الاظلاف الانسية والوحشية
وفيه مطارح البزاة وفيه ينضج الاترج واوراقه تشبه شقق الفريد اذا
خطرت فيه الرياح خفقت خفق المطارف الخضمر وله ورد كالفاغية وهي ثمرة
الحناء ويتفتق عن مثل حرزات الزبرجد ثم يعظم وتشوب خضرتها صفرة
الرحيق الاصفر فاذا خاصت الصفرة صار ذلك كقلالا ظاهرها ذهب
وباطنها فضة فيها حب كاللؤلؤ والمرجان وقشره ينفع المعمود وله اذا حرك

عرف بفوق ارج رياحين الربيع ويستخرج منه دهن اذكى من النار وله حماض لذيد بطيب القدور وينفع المخزون واذا تصرمت الرياحين في الشتاء فالاترج غض طري وقد اجتمع فيه وفي العنب الطبايع الاربع فوصف الخريف وذكر فضائله واقتص خصائصه كما ترى في النثر واما النظم فمن ذلك ما قاله ابو الحسن ابن الرومي من قصيدة

لولا فواكه ايلول اذا اجتمعت * من كل نوع ورق الجو والماء
اذا لما جفت نفسي متى اشتمت * علي هائلة الخالين غرباء
ياحبذا ليل ايلول اذا بردت * فيه مناجعنا والريح سجواء
وجمش القر فيه الجلد واشتمت * من الفجيعين احشاء واحساء
واسفر القمر الساري بصنخته * وربالها من صفاء الجو لآلاء
ياحبذا نفحة من ريجه سموا * يا تيك فيها من الريحان امضاء
بل فيه ما شئت من شهر تعهده * في كل يوم يد الله بيضاء

ومن ذلك ما قاله عبد الله بن المعتز

اشرب على طيب الزمان فقد حدا * بالعريف من ايلول اسرع حاد
واشمتنا بالليل برد نسيمه * فارناحت الارواح في الاجساد
وافاك بالانداء اقدام الحيا * والارض للامطار في استعداد
كم في ضمائر تربها من رونة * بمسيل ماء او قرارة واد
تبدو اذا جاد السحاب بقطرة * وكانما كنا على ميعاد
وقال ابو عمر عبدان الفرخي يصف الخريف ويفضله على الربيع
وارى الربيع عيون قوم اغفلت * طيب الخريف وسبحج الاسحار
ان كان ذاك لواضحات دراهم * بين الرياض ثرن من اشجار
فلها نثار في الخريف يفوقها * حسنا على الجنات والانهار
تحكي دنائرا لنا اوراقها * ولها فضيلة مطعم الاثمار

وخلا الربيع فما لنا فيه سوى الارواح والانواء والامطار
 وتخافة الارعاد اثر صواعق * ترمي البلاد واهلها بالنار
 فاسعد بتشرينين وانعم منهما * متعوذا بالله من آذار
 واشرب على ورديهما مشمولة * من زعفران طالع وبهار
 يغنيك عن ورد الربيع وعرفه * عن شم طيب لطيمة العطار
 ياخذ ايلول جاء مبشرا * بالخصب بعد المحل في الامصار
 والشمس فيه وفيهما ميزانه * حلت لوزن عادل المعيار
 اخذ النهار وليلنا حظيهما * فالليل عن وزن كفاء نهار
 وصفاك في ذم الربيع رواية * ينيك عنها حامل الاخبار
 فاذكر كلام نبينا في قوله * صلت عليه ملائك الجبار
 اذ قال هل يخرج آذار لنا * خرف القيامة فيه من بشار

وقال ايضا يصفه

آذار جوك للغيوم مسخر * اذ لست انت لنا الحريف الازهر
 وضر الشتاء بنا اضر وبرده * فابعد رشيدا انت منه اوضر
 ركبت غيومك في السماء كأنما * غطى عليها منك لبد اغبر
 هناك اول برده متزايدا * من ظل كانونين مرا اكدر
 والشمس عن نظر الورى محجوبة * فكأنها عذراء او هي استر
 تغدو وتمسى في اسار اصايب * ولها متى طلعت شعاع اعبر
 ما بين نيسان وبينك عامنا * ضاع الربيع وضل ذاك المنظر
 فمتى نرى ملء السماء وتوبها * الا لبود لازورد اخضر
 ومتى يقل بكاؤها وربوعنا * من دمعا خربت وهذا اهدر
 ومتى ترى شمس السماء شماته * بالغيم يسهما شعاع انور
 او ليس ليالك والنهار تساويا * والشر فيك من المنايا اكثر

والفصل يؤذن بالحياة وطيبها * ما بالناس فيه نموت ونقبر
 عاما ارتك عجائبا ايامه * عين التفكير فيه ليلا يسهر
 فيه وفي الماضي كسوف سنة * كل على الانسان منه يجذر
 موت النجاة والخوايق التي * كلاً اصابت بالنية تنذر
 احكام كل من شهر ستة * عن قول بطليموس ذلك يؤثر
 منها ثلاث قد مضت وثلاثة * فيها لمن نجو ويعبر معبر
 ان المنجم والطبيب تعجبا * اذ لم يكن في العرف مما يذكر
 والفيلسوف بذاك ايضا جاهل * فهم جميعاً في المنايا حير
 ان كان ذلك في الورى في دورها * ستمين ان صدقت بما قد خبروا
 لكن اقول اذا اراد الهنا * امرا اليه بصير عبدا يؤمر
 لا تكذب فاننا بقضائه * طوع الردى حتماً نموت ونشر
 والفوز في الدنيا والاخرى للذي * منا على الباوى المحض اصبر

وقال ايضا في فضل الحريف على الربيع

فضل الحريف على الربيع وحسنه * ان عم كل مدينة آثاره
 وله مناظر حسن ذاك وزادنا * طيب الفواكه كلها اثماره
 يصفو الهواء لنا ويبرد ماؤنا * وبطيب مرقدنا وتحمد ناره
 نلذذ فيه صبحنا وغبوقنا * عقب النهار وسبح اسحاره
 وارى المخالف ذا قياس فاسد * قد ضل لما راقه انواره
 اذ قال ضاهى النور فيه دراها * ما للحريف على الرياض نثاره
 غفل الركيك عن المجالس كلها * فيه اذا ما دنرت اشجاره
 وتناثرت اوراقها مصفرة * كالتهراخلص فاستنار نضاره
 والمهرجان فحصب بنعيمه * فاذا تنورز مقحل آذاره
 وتحاف وقع صواعق وبوارق * فيه وهدم رباعنا امطاره

وكذا المياه وحد وادبها بها * مهما جرى وتدفقت انهاره
 والمهرجان فورده عن ورده * مغن يفضل حسنه نظاره
 اذ كان فيه منافع ولطيبه * لم يخل منه طيبه عطاره
 والشمس في الميزان فيه يستوي * للوزن عدلا ليله ونهاره
 يسقيك من حلب الكروم جديده * سلسا بلا مزج يطير شراره
 لا غول فيه ولا اذى لماره * لا كالعتيق مصدر مصطاره
 فاتسره مغتما لروح زمانه * ودع الشقي موفرا اوزاره
 وارثه له طيب الغناء ومزهره * تشجي فواد مقيم اوتاره
 والزمير لا ثقرع به اسماعنا * ان الغناء يعيبه زماره
 هذا الزمان وما سواه دونه * لفتى تساعده به اوطاره
 ان كان ينكر جاهل هذا بلا * عقل فليس يضيرنا انكاره
 فاذا اتى النيروز فاقض حقوقه * ما دام يسعد ورده ازهاره
 واذا رجوا فيه القيامة فارح ان * يأتي بوشك خروجه بشاره
 وارقب طلوع النجم حتى ينقضى * نيسان تأمن ان دنا اياره

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» وقال الباذاني في نعت الخريف

واسعدك الله بالمهرجان * اذا ما تقضى عنك عاما يكر
 ولا زلت في عيشه كالخريف * فان الخريف جميعا سحر
 ترى الماء فيه وذاك الهواء * يجاوها نسيم ريح عطر
 ترى الزعفران باعطافه * يفوح التراب له المقشعر
 واترجه عاشق مدنف * اذا ما رجا طيب وصل هجر
 ولون سفرجله حائل * واحسبه من صدود حذر
 وتفاحه فوق اغصانه * خدود خجلن لوحى النظر
 وما كنت احسب ان الحدود * تكون ثمارا لتلك الشجر

﴿﴾ وقال آخر ﴿﴾

فهناك اقبال الخريف عليك بالزهر الجنى
 تم اعتدالا في الكمال فجاء في خلق سوي
 فاق الربيع بحسنه * ونسيم رياه الذكى
 وينوب ورد الزعفران به عن النور البهى
 اهدى اليك المهرجان يمس في زى الهدى
 قد ضمخمت بالزعفران وهيمت في حسن زى
 وتحلت التفاح والاترج في نظم الحللى

﴿﴾ قال الربيع ﴿﴾

ما كنت اخزن لك ترضى بحكومة الشعراء وثقن بالاسعار الركيكة في
 هذا الباب وتكيل علينا بهذا الصاع . بل تهيل بالباع والذراع . فهناك
 منها السيل الذي يحكي سيل الربيع . فاما رسالة ابي الحسن على بن حمزة
 ابن عمارة الاصبهاني فهي مقابلة برسالة له اخرى في وصف النيروز
 كتب بها الى ابي مسلم محمد بن بحر فقال

هذا يوم عجمى مشرق الارحاء . بهي الرواء . تمتع الذكاء . منير
 الساء . صافي الهواء . اعتدل مزاجه واستوى ليله ونهاره تراح له
 القلوب وتهتزله النفوس وتستريح اليه الارواح يروق العيون ويؤنس
 القلوب . ويجلو الكروب . يوم مصطلح في تفضيله على الايام يتبع السرور
 ويصبي الكبير ويطرب الحليم ويذكر الشيب الشباب ويجمع المتفرق
 ويؤلف المتنافر ويديني المتباعد له نسيم المسك المشوب بالعنبر المداف
 يضاحك ارجوانه افحوانه وجلناره بهاره وخيره ياسمينه وورده نرجسه فتبرج
 بعد التعنس . وتنضر بعد التيس . وابتهج بعد التعبس توشح بالزبرجد
 وتازر بالاستبرق وتحلى بالياقوت والمرجان . ونفى عن الفتيان خواطر

الاحزان . فهممهم عليه موقوفه . واشغالهم اليه مصروفه . وقلوبهم
 بالملاهي فيه مشغوفه . وعيونهم اليه روان . ونفوسهم عليه حوان .
 والظبا فيه تنازى والطيور تتبازى . وناطقها فيه يطرب فيرتجل الاغاني
 ويقرب الاماني ويغنى الشرب فيه عن كل صوت شج مطرب اذا تحاذت
 تطارحت الالحان بفصاحة سحيان . وخالد بن صفوان . فرجحت الاغصان
 بالنبرات والتغيات فمنم بمخضرة الرياض ساجعه . وعيون الحوادث عليها
 هامعه . فمتى نظرت الرواند وانعم البوارق مرت الصبا اخلاف العهاد
 فاهتزت له الربا والوهاد . وتلغمت بورود الجن وتبسمت الارض عن ثغور
 الاقحوان . بكنها دموع الغيت في حير اوان . واجل زمان . وتمايلت
 البقاع بالازاهير الناضرة تمايل السوان . بيمس في الارجوان . واحتالت
 القيعان والجنان . بدائع الالوان . زاهرة بانواع نوار الغياض . واصناف
 اصباغ الرياض . من تتفائق حمر ترف بقطرات الدموع كالمستاق .
 وفواقع صفر كالوان العشاق . وازاهير رائقه . مستفقه موقفه . مؤنسه هي
 الدهر ضاحكة لبكاء الدهر محيطه بواد الزرنوذ وهي كالمقرم الصائل اذا
 جرجر ورنى بلعابه والديغم الخائج اذا زعج وزأر في غيله فاذا اصطكت
 امواجه . واتبقت فبحاجه . وهمهم وزخر وجاءت اواذيه معتجرات بمطارف
 دكن اقبلت ضروب نباته عائمات متوشحات بتهاويل رقها المنتم زهره
 مختلات علامات بمجانفة الامواج آمنات سبا الجوارح فسأل الله تمام النعمة
 واليه ارغب في ان يجعلك بالنعمة تماما . وللمكارم نظاما . وللدنيا قواما .
 بهنه

✽ ووصف على بن عبيدة الريحاني الربيع فقال ✽

الربيع رشيق القد طلق الوجه كريم الاخلاق لين الاعطاف حلو
 الشمائل . جم الفضائل . عطر الرائحة سليم الناحية فاخر البزة بهي المنظر

سرى المخبر . * ووصفه ابن ابي طاهر فقال * الربيع تام الجمال .
 حسن الدلال . عظيم الحطر . لطيف النظر جميل الذكر . ذكى العطر
 لذيد اللسيم . طيب الشميم . غزير النعيم . قليل الهموم . ظليل الغيوم
 واما النظم فالقصيدة الاولى الالفيه مقابلة بمثلها من قول بعض الشعراء

طلع الربيع بغرة زهراء * تجلي العيون بها من الاقضاء
 وبدت وجوه الارض بعد قطوبها * مفتره بدائع الآلاء
 فالارض في حلل وحلى موق * في ما حبته به يد الانواء
 والروض يضحك عن بكى وشميه * بتالؤ من صنعة الانداء
 وترى الرياض كأنهن عرائس * يرفلن من صفراء في حمراء
 او ماراً يت الارض غرباء الربى * حتى اغتدت في برده خضراء
 ان الربيع ليهجة الارض التي * منها تكون جوهر الاشياء
 وله هواء كلهوى من رقة * دقت عن الاوهام والاهواء
 واذا تنفس بالنسيم نسيه * كتنفس الصبوات في الاحشاء
 زمن جديد للسرور تجدد * فيه استحلحت حرمة الصهباء

واما القصيدة الدالية فهي مقابلة بما قال الحمدوى

حتى الربيع فقد اتاك حميدا . بدلت من خلق الزمان جديدا
 خلع السحاب على الثرى وشياترى . منه الثرى ذا تروة حسودا
 روض افادته السحاب صنائعا . اضحى بها كل البلاد سعيدا
 نشأت سحابته عليه فانشأت . نورا تراه ناشئا ووليدا
 فكانها عدن لدى اكفاه . قد نشرت فيه التجار برودا
 عن الخوان ضاحك متبسم . يفتقر عن برد يحال عقودا
 فثغوره من لؤلؤ وثلثاته . ذهب بريق سحابه قد جيدا
 ومعضفات من شقائق البست . مقلاترى فيها محاجر سودا

فانهض بطرفك حيث شئت تجد له . من عطفه ورداً يخال حدودا
 تحكي لك الوجنات قد اشعرتها . حجلا وشرب لونها توريدا
 قد وشحت اكفافه بينفسج . حنت يفرز غايات غيدا
 وتري العذارى من بهار باهر . للشمس تحسب نظمهن فريدا
 زهر يظل الدف في اكفافه . حسر لرونقه النضير بليدا
 فاذا الريح مشين فيه ظلان من . كسل النعيم رواكها وسجودا
 يصدن صد مقيم متهم . انحى له عداله تفيدا

واما القصيدة الرائية الاولى فمقابلة بما قال او تمام وبينهما بون بعيد

رقت حواشي الدهر وهي تمرمر . وعدا الترى في حليه يتكسر
 نزلت مقدمة المصيف حميدة . ويد الشتء جديدة لا تكفر
 مطر يروق الصحو منه وبعده . صحو يكاد من الغضارة يطر
 غيتان فالانواء غيت ظاهر . لك وجهه وانحو غيت مضم
 يا صاحبي تقصيا نظريكما . تريا وجوه الارض كيف تصور
 تريا نهارا مبصرا قد شابه . زهر الربى فكأنما هو مقمر
 دنيا معاش الورى حتى اذا . جاء الربيع كأنما هي منظر
 اضحت تصوغ بطونها لظهورها . نورا تكاد له القلوب تنور
 من كل زاهرة ترفرف بالندى . فكأنها عين اليه تحدر
 محمرة مصفرة فكأنها . عصب تيمن في الوغى وتمضر
 من فافع غض النبات كانه . در يستقق قبل ثم يزعفر
 او ساطع في حمرة فكأنما . يدنو اليه من الهواء معصر
 صبغ الذي لولا بدائع لطفه . ما عاد اصفر بعد اذ هو اخضر

والقصيدة الثانية الرائية مقابلة بما قال البحترى

ألم تر تغليس الربيع المبكر . وما حاك من وشي الرياض المنشر

مررنا على بطياس وهي كأنها . سبائب عصب او زرابي عبقر
 كأن سقوط القطر فيها اذا انثى . اليها سقوط اللؤلؤ المتحدر
 وفي ارجواني من النور احمر . يشاب بافرند من الروض اخضر
 اذا ما الندى وافاء صبحاً تمايلت . اعاليه من در نثير وجوهر
 اذا قابلته الشمس قلت النفاسة . لعلوة في جاديه المتعصر

والقصيدة الثالثة مقابلة بما قال ابن المعتز

اما ترى بهجات الروض في السحر . فوق الندى واتساق الورد في الشجر
 اذا السحاب سقاها في اندجى خلعت . بعد السحاب عليها الشمس في البكر
 والروض من زاهر زاه بنظوته . وكامن منه في الاغصان منتظر
 حسي من الورد توريد الحدود كما . حسي مسرة محسود من البشر

والقصيدة الرابعة الرائية مقابلة بما قال ابن الرومي

اصبحت الدنيا تروق من نظر . بنظر فيه جلاء للبصر
 وهالها مصطنعا اقد سكر . اتنت على الله بالآء المطر
 والارض في روض كفواف الخبر . تبرجت بعد حياء وخفر
 تبرج الانثى تصدت للذكر

هذا ما قيل من الاشعار . ولو استقصيت ما قيل في فضل الربيع
 لادى ذلك الى الاكثار . ويكفيك من فضائله انه ما ينبغ شاعر الا
 وله شعر في الربيع وما الآتار . التي جاءت بها الاخبار . فكثيرة ايضاً
 والنوروز الذي هو عنوان الربيع تعظمه الفرس على سائر الايام وتقول
 انه يوم فيروزي روحاني فيه تحركت الافلاك السبعة بعد ان كانت
 ساكنة وفيه دارت الكواكب السبعة في افلاكها بعد ان كانت واقفة وفي
 ساعة منه يزخر فلك فيروز بمعاني الارواح لانشاء الخلق وفيه خلق جرم
 الشمس ولذلك يقال اسعد ساعات النوروز ساعة الشمس * وقال الحسن

ابن سهل سال المأمون علي بن موسى الرضا عن النيروز فقال يوم عظمته
 الملائكة والانبيا والملوكة فالملائكة عظمته لانهم فيه خلقوا والانبيا
 عظمته لانه اول يوم طلعت فيه الشمس والملوك عظمته لانه اول يوم من
 الزمان * وعن عبد الصمد بن علي بن عبد الله رفعه الى جده عبد الله
 ابن عباس قال اهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم في يوم نيروز جام
 فضة عليه حلاوة فقال ما هذا فقالوا يوم النيروز فقال وما النيروز فقالوا
 عيد الفرس فقال نعم اليوم الذي احيا الله فيه العسكرة قالوا وما العسكرة
 قال القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف فاحياهم الله في هذا اليوم
 وردوا عليهم ارواحهم وامر السماء فامطرتهم مطراً كالسندف فلدلك اتخذ
 الناس صب الماء في النيروز سنة فاكل الحلاوة وقسمها بين اصحابه وقال
 نيرزوا لنا كل يوم * ويقال ان في النيروز اظهر جم الملك مقادير الاشياء
 وتنبك الفرس صبيحته قبل الكلام بان تلعق ثلاث لعقات من غسل
 وتنجر بثلاث قطع من شمع وتزعم انه سقاء من الف داء زعم بعضهم ان
 من ذاق السكر صبيحته قبل الكلام وادهن بالزيت دفع عنه في عامه
 انواع البلايا

* قال الخريف *

رويت لنا يا بني اشعاراً في صفة الربيع وفضائله . وما تعرضت
 لنقص الخريف ورزائله . وعلى المناظر ان يقوى حجه ودلائله ويوهن
 براهين خصمه وشواهدة لبتضح الحق ويفتضح الباطل كما فعلنا ذلك وان
 لم نستوفه واتينا على جمل من ذلك ولم نستقصه * واما ما ذكرت من
 فضيلة النيروز فلمهرجان ايضاً فنائل لا تحصى ومناقب لا تستقصى تزعم
 الفرس وغيرهم من الامم انه يوم خلق الله فيه الاجساد قرارا للارواح

وفيه دحا الارض دحوا ونشر الخلائق وهو يوم افرغوني وعيدا افرغوني
وفي ساعة منه يتنفس فلک افرغون لتربية الاجساد وفيه خلق الله القمر
يوم خلقه كرة سوداء فاذا كان يوم من المهرجان جلاها بضوئه ويقال ان
القمر في المهرجان يوفي على الشمس واسعد ساعاته ساعة القمر ويقال ان
قمة جبل شاهين ترى طوال ايام الصيف سوداء حتى صبيحة المهرجان
ترى بيضاء كأن الثلج عليها وزعم المؤيد متوكلي ان يوم المهرجان يطلع
الشمس بميامير الواسط بين النور والظلمة وتحمل الارواح في الاجساد
ولذلك سمته الفرس ميركان وثمن الفرس صبيحة المهرجان باكل الرمان
وشم ماء الورد وهو يوم افرغوني مر افرغوني في طلب بيور اسف فظفر
به يوم المهرجان الاكبر

فهذا ما حضر من فضائل الخريف واولاها واولاها بان يذكر ان
الخريف في هذا الوقت الذي نحن فيه حاضر لخدمة قوام الملك ونظام
الدين اطال الله بقاءه . وادام في درج المعالي ارتقاءه . والربيع غائب
عن حضرته . انسها الله بدوام نعمته . مستاق اليها والحاضر خير من
الغائب والموجود خير من المعدوم

فهذا آخر ما جرى بين الشيخ والفتى وفترا بعد ذلك والسلام والحمد لله
اولاً وآخراً . وباطناً وظاهراً . والصلاة على النبي محمد وآله
اجمعين وكتب يوم الخميس في ثاني عشر ربيع الآخر
سنة احدى واربعين واربع مائة
(كذا باصله)

